بسم الله الرحمن الرحـيم

جامــعة الســودان للــعلوم والتكنلوجيا
كليـــة الدراسات العليا
كلية اللغات
قسم اللغة العربية

النظم القرآني دراسة تطبيقية في سورة هود

Investigating the Quranic Construction in SuratHud

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربـية

تخصص: "البلاغية والنقد"

إعـداد الطالب :

عبد الله أبوبكر محمد أبوبكر

إشراف الدكتور:

عمر سعيد محمد

2018م - 1439هـ

(ومـــا أُوتيتم من العـــلم إلا قـــــليلاً)

صدق الله العظيم

سورة الاسراء جزء من الايه(85)

الاهـــــــــــداء

- إلى روح ابي الطـــاهرة وسع الله مـــرقده وأنار قبره وأنزل علـــــيه شئآبيب الرحمة والرضـــوان وتقبله الله في الخالدين ، الذي ترك لنا طريق المعرفة ممهداً وأبوابه مشـــرعة ، فلم نجد كثيـره عناء في سلوك هذا الطريق.
- إلى السيدة الفُضـــلى التى جعل الله الجنة تحت أقدامها ، الوالدة العزيزة أطال الله عمرها ورزقني برَّها ما حييتُ .
- إلى أهـلي وأصـدقائي الذين لم يألوا علي جهداً ولم يدخروا وسعاً فكانوا سنداً ودعماً وتحفيـزاً فلهم الفضـل من بعد الله سبحانه وتعالي في إتمام هذ العمل .
- إلى أساتذتي ومعلمي في كافة المراحل والمستويات ، وكل من علمني حرفاً جعل الله ذلك في ميزان حسناتهم أجمعين .
- إلـــــى إخوتي وزمـــــلائي الطـــــلاب أهدي جهدي المتواضع هذا .

الشكـــــر والعرفان:

الشـــكر أولاً للواحـــد الصـــمد الذي قال في محكم تنزيـــله : {لـئن شكرتم لأزيدنكم }

والشـــكر من بعـــدُ للدكتـــور عمر سعيد محمد الذي وضع اللبنـــات الأولى لهذه الدراسة وقام بالإشراف والمتابعة وكـــان لي عـــوناً

والشـــكر كذلك لكلية الدراسات العليا بجامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا لتهيئتها لنا الظروف المثلى لكتابة هذا البحث

والشكر كذلك أيضاً لأساتذة قسم اللغة العربية بكلية اللغات ـ جامعة السودان الذين ظلوا على الدوام يحفزوننا للمضي قدماً في هذا المجال فكان لتحفيزهم بالغ الأثر في نفوسنا

ملخص البحـث

يتناول هذا البحث النظم القرآني دراسة تطبيقية في سورة هود ، حيث يتناول ما احتوت عليه هذه السورة من نظم فريد وبديع وتناسق فني رائع ، كما تناول المباحث التي اشتملت عليها نظرية النظم من تقديم وتأخير وذكر وحذف وغير ذلك وقد احتوى هذا البحث على فصلين :

الفصل الأول : النظم عند عبد القاهر الجرجاني وعند سابقيه .

الفصل الثاني : تطبيق نظرية النظم على آيات سورة هود عليه السلام .

وقد توصل الباحث إلى عدة نتائج أهمها ثراء هذه السورة بموضوعات النظم وإشتمالها على أسرار بلاغية رائعه .

كما توصي الدراسة الباحثين المتحمسين بدراسة هذه السورة دراسة بلاغية وافية تشتمل على علوم البلاغة الثلاثة (البيان ، والمعاني ، والبديع) .

abstract

The study has tackled the Quranic construction with reference to Surat Hud. This Surah (Quranic chapter) has a unique, marvelous and sophisticated style. The two-chapter study has also examined the theory of construction such anastrophe, addition and elision. The first chapter focuses on theory of construction according Abdel-Gahir Al Jurjany and his predecessors. The second chapter has applied the theory of construction on this Surah .The researcher has concluded that Surat Hud is rich in versification and fine rhetorical secrets. The researcher has recommended that interested researchers should conduct deep rhetorical study: eloquence and rhetorical art, semantics and art of figures of speech on the same surah.

- **المقـــدمة**

الحمدلله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام علي من شرفه رب العالمين بما تنزل به الروح الأمين ، علي قلبه ليكون نذيراً ورحمة للعالمين . وبعـــد :

فلما كان القرآن الكريم معجزة عقلية خالدة ظل على امتداد الأزمان بكراً في معانيه ، وألفاظه ، وتراكيبه ، يحوم حوله العلماء من كل عصر فيأخذون بعض الفرائد من جواهره ويرتشفون قطرات من جليل هديه وتوجيهه ، كما ظل محل التدبر ومناط التأمل وغاية الغايات .

لذلك كان أهم ما يتاح لطالب العلم والباحث فيه أن يوظف ما حصله من مسائل العلم في خدمة هذا الكتاب العزيز إظهاراً لمقاصده وتوضيحاً لمراميه وتجلية لبعض أسراره المستكنة وراء ألفاظه وجمله ، وإبرازاً لبعض ملامح إعجازه المستمر أبد الدهر , فالقرآن على أمد الدهر موضع بحث يطول ، وفكر يجول، ووتأمل يتبصر ،وغوص وراء الأستار والأسرار .

إن اختيار أي جزء من القرآن ليكون موضوع للبحث والدراسة أمر شديد الصعوبة لأن القرآن الكريم ليس فيه فاضل وأفضل ، وبليغ وأبلغ ، بل إن القرآن كله علي حد سواء من أوله الى آخره فضـلاً، وهدياً ، وبلاغةً ، وإعجاز فحيثما وجهت بصيرتك وجدت نوراً يهدي ، وهدياً يدل ، ودلالة تقود الي خير الدنا والآخرة .

لذلك لم يكن أمامي إلا أن أستخير الله سبحانه وتعالي ، وكان من فضله وحكمته وكرمه أن وجهني إلى البحث والتأمل في سورة هود عليه السلام .

أما المصادر التي إستعنت بها فأهما كتب التفاسير على مختلف مناهجها وكتب والبلاغة والأدب .

- **أهميـة البحث**

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها أساساً ثابتاً في ترسيخ جذور قوية للبلاغة القرآنية , وإثبات حقيقة جلية لاينكرها إلا الحمقى وهي أن القرآن الكريم هو المنهل العذب لاستقاء الثقافة ، والورد الصافي لكثير من العلوم ، والأرض الخصبة لبذرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء .

سيقوم الباحث بدراسة سورة هود عليه السلام من خلال نظمها وبيان مافيها من تصوير فني رائع .

- **سبب إختيار الموضوع**

لما كانت البلاغة القرآنية من أشرف العلوم من ناحية ، وأكثرها أهمية من ناحية أخرى ، فقد أجتهد كثير من الباحثين في هذا المضمار بيد أنهم ركزوا على بلاغة القرآن الكريم ككل ، ومنهم من تناول سورة بعينها ' لذا رأى الباحث أن يركز على سورة هود عليه السلام ويدرسها من خلال تطبيق نظرية النظم عليها .

- **اهداف الـدراسة**

1- التركيز على الدراسات المتعلقة بالبلاغة القرآنية .
2- القرآن معجزة خالدة على مدى الأزمان والعصـور، والدراسات البلاغية القرآنية تعكس هذا الإعجاز وتصب جل اهتمامها لإثباته.
3- إثبات ما تفرد به القرآن من ظواهر وأساليب خاصة في سورة هود عليه السلام .

- **الصعوبات التي واجهت البحث**

لا يخلو أي عمل من بعض الصعوبات ، وقد واجهت الباحث عدة صعوبات ، ولكن منة الله الوسعة وكرمه الفياض ، ورحمته الغامرة لعباده ، ومشيئته المطلقة كانت العون الأول في تذليل هذه الصعوبات بالإضافة إلى توجيه أستاذي الفاضل الدكتور عمر سعيد المشرف علي هذه الدراسة .

ومن هذه الصعوبات :

1- اتساع موضوع الدراسة وذلك لآن سورة هود عليه السلام غنية بالظواهر البلاغية واللغوية .
2- ندرة البحوث والدراسات في هذه السـورة .
3- افتقار مكتباتنا إلى كثير من المصادر والمراجع .

- **الدراسات السابقة :**

لعل الدراسات التي تاولت القرآن ككل غنية جداً وكذلك الدراسات التي تناولت بعض السور الطوال ، إلا أن الدراسات التي تناولت سورة هو عليه السلام نادرة وقليلة ، وقد وقفت على واحدة من الدراسات في سورة هود وهي :

"سورة هود عليه السلام – دراسة لخصائص نظمها وأسراره البلاغية"

رسالة دكتوراة للطالب : دخيل الله بن محمد الصحفي

جامعة أم القري – كلية اللغة العربية وقد ركزت دراسة الباحث على خصائص النظم وأسراره البلاغية ، أما دراستي فقد كانت أشمل حيث ركزت على تطبيق نظرية النظم بموضوعاتها المحتلفة على هذه السورة الكريمة .

- **منهج الـبحث**

تبعاً لطبيعة البحث فإن الباحث سيتبع المنهج الإستقرائي التحليلي الوصفي لمناسبته لموضوع الدراسة ،ولاستخلاص الأهداف الرجوة منها إن شاء الله .

- **هيكـل البحث**

يتكون البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة تشتمل على النتائج والتوصيات .

الفصل الأول نظرية النظم : ويشتمل على ثلاثة مباحث ، بحيث يتناول المبحث الأول النظم قبل عبد القاهر ، ويتناول المبحث الثاني تطبيق نظرية النظم على النص عند الجرجاني ، بينما يتناول المبحث الثالث غموض النظم ودقته مبيناً إستخداماته اللغوية المختلفة .

الفصل الثاني تطبيق نظرية النظم على آيات سورة هود عليه السلام : ويتكون من ستة مباحث كالآتي:

مبحث اللتقديم والتأخير ، وللذكر والحذف ، وللإيجاز والإطناب ،

للقصـر ، وللفصل والوصـل ،والاستعارة .

الفصـــــــل الأول

- **المبحث الأول : النظم قبل عبد القاهر الجرجاني**
- **المبحث الثاني : تطبيق نظرية النظم على النص عند عبد القاهر الجرجاني**
- **المبحث الثالث : غموض النظم ودقته**

المبحث الأول

تعريف النظم :

النظم لغة : هو الجمعُ والضمُ والإتساقُ والنظام والتأليف .

قال ابن منظـور : "النظم : التأليفُ نَظَمَهُ نظماً ونِظَاماً ونَظَمَهُ فانْتظم وتنَظَّم ، ونَظَمْتَ اللؤلؤ اي جمعته في السلك ، والتَّنْظِيمْ مثله ومنه نظمت الشعرونظمته ، وكل شيئ قرنته بآخـر أو ضممت بعضه الي بعض قد نظمته (1) .

والنظم عند الفيروزابادي : هو التأليف وضم شيء الى شيء آخـر ، ونَظَمَ اللؤلؤ ينْظمَه نظماً ونظاماً ، ونظمه ألفه وجمعه في شكل فانتظم (2)

فالمعني اللغوي المشترك هو ضم الشيء الى الشيء وتنسيقه على نسق واحـد كما تضم حبات اللؤلؤ بعضها الى بعض وهذا هو المعني الاصطلاحي الذي دار فيه المعني اللغوي للكلمة فقد دارت كلمة النظم بمفهوم إصطلاحي عند المتكلمين في حديثهم عن الإعجاز القرآني وأصبحت نظرية كاملة عند القاضي الجرجاني والزمخشري وأساسها المعني اللغوي الذي هو ضم الشيء الي الشيء وتناسقه, فقد تكلم الخطابي في النظم بالمعنى اللغوي الذي يعني الضم والاتساق ، والخطابي يرى أن نظم القرآن أشد تلاؤما وترابطاً من اي نظام آخـر (3) .

يقول القاضي عبد الجبار في الفصاحة : " اعلم ان الفصاحة لاتظهر في إفراد الكلام وإنما تظهر في الكلام بالضم عن طريق مخصوص "(4)

ولاشك أنَّ تعريف القاضي عبد الجبار للفصاحة بالضم على طريقة مخصوصة هو المعنى المراد لكلمة النظم لذلك نجد عبد القاهر الجرجاني يجعل البلاغة والفصاحة مترادفتين في المعنى والمقصود بها النظم .

"النظم" هو توخي معاني النحو، فيقول الجرجاني :

1- لسان العرب –ابن منظور– طبعة دار المعارف – ج6 – صـ469ــ مادة "نظم"
2- القاموس المحيط –الفيروزبادي – الناشر مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية مادة "نظم"
3- بيان إعجاز القرآن -الخطابي- المحقق: محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام - الناشر: دار المعارف بمصر الطبعة: الثالثة1976 م - صـــ24
4- المغني في أبواب التوحيد والعدل – القاضي عبد الجبار – المحقق قاسم محمود- الناشر الشركة العربية مصر –الطبعة الأولي 1380هـ – ج16 – صـ199

"إعلم أنْ ليسَ "النظمُ" إلا أن تضعَ كلامكَ الوضعَ الذي يَقتضيهِ "علمُ النحو"، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَه التي نُهِجتْ فلا تزيغَ عنها، وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك فلا تُخِلَّ بشيءٍ منها. وليس "النظمُ" إلاَّ توخِّي معاني النحو وأحكامِه ووجوهِه وفروقه فيما بَيْنَ معاني الكلم" (1)

نظرية النظم قبل الإمام الجرجاني

إن نظرية النظم لم تولد من فراغ ولم توجد هكذا فجأة دون إشارات وإرهاصات تهيّئ لها ، ودون محاولات ومقدمات تمهّد لها ، فلا يُعقل أن يصل الأمر بهذه النظرية إلى مثل هذا النضوج وهذا التكامل والوضوح هكذا بين عشية وضحاها، بل لا بدّ وأنّها نتاج تراكم معرفي كبير وتواصل علمي طويل ، وهذه الحقيقة قرّرها وتبناها جلّ من تناول نظرية النظم بالدراسة والتحليل ، وسنحاول بدورنا من خلال هذا المبحث الوقوف على حقيقة هذه المسألة لا بمجرد الاتّباع والتقليد وتكرير ما قيل وتجرير الأقاويل فقط... ولكن بالبحث في حقيقة هذه الأسبقية ، بمحاولة استقراء النصوص التراثية القديمة بقدر الاستطاعة والإمكان ، ثمّ بمحاولة دراسة هذه النصوص وتحليلها ، لأنّه في اعتقادي – والله أعلم – لا يكفي أن نجد كلمةَ "نظم" في بعض النصوص القديمة لنجزم ونحكم بكون الإمام الجرجاني كان مسبوقاً إليها ، لأنّ موضوع بحثنا ليس مطلق النظم، وإنّما هو نظم مخصوص، هو نظم الكلم، وليس كلّ نظم للكلم، بل نظمه وفق قوانين النحو بما تمليه معانيه ، هذا هو النظم الذي نبحث فيه وننسب الأسبقية في اكتشافه أو على الأقلّ في تجليته وبيانه للإمام الجرجاني ، فهو لم ينطلق في نظريته من فراغ ، الأمر الذي يؤكده الجرجاني بنفسه في أكثر من موقع في كتابه دلائل الإعجاز ، وأنه استفاد ممن سبقه حيث يقول : "وقد علمنا إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم وتفخيم قدره والتنويه بذكره " (2)

1- دلائل الإعجاز -عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر – مكتبة الأسرة – صـ80

2- المرجع السابق _ صـ 81

كون الإمام الجرجاني لم ينطلق من فراغ، هذه الحقيقة في غاية التحقيق والتقرير يؤكّدها كما تقدم ذكره: أنّ هذا النضوج والاكتمال في النظرية يستحيل أن يصل إلى هذا المستوى الراقي هكذا من أوّل يوم دون أن يسبق بمحاولات واجتهادات ممهدة ، وتقويمات وتصويبات متقدمة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى يؤكّد هذه الحقيقة يقررها الإمام الجرجاني نفسه فهو يقرّ في غير ما موضع من كتابه دلائل الإعجاز على حقيقة كونه مسبوقا بغيره وأنّه استفاد ممّن سبقه .

وأشار الجرجاني إلى مفهوم النظم عند سابقيه بقوله : "كان النظم عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشيئ وما أشبه ذلك مما يوجب إعتبار الأجزاء بعضها مع بعض ، حتى يكون لوضع كلٍ حيث وضع علة تقتضي كونه هناك ولو وضع مكان غيره لم يصــح" (1)

النصوص التي ذكرناها والتي سنذكرها تؤكد إستفادة الجرجاني ممن سبقه وهي حقيقة لاتحتاج إلى كثير إستدلال .

كما تقرر هذه النصوص إن النظم كان معروفاً قبل الجرجاني ، ولكن بفهومه ومعناه لا بلفظه واصطلاحه ، بمعنى أن القدماء تحــدثوا عن النظــم ولكــن بمسميات أخرى (2)

وسنورد ما أمكن من النصوص والأقوال المتقدمة والتي وردت فيها الإشارة للنظم، محاولين الربط بينها وبين اللفظ الوارد فيها باصطلاح الجرجاني .

1- عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – صـ 49
2- أحمد مطلوب – عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده- وكالة المطبوعات الكويت 1973م – صـ 53

ابن المقفع (142هـ)

وقد عدّه الباحثون أقدم نصٍ ورد فيه ذكر في الأدب الكبير والصغير ": وفإذا خرجَ الناسُ من أن يكونَ لهم عملٌ أصيلٌ وأن يقولوا قولاً بديعاً فليعلمِ الواصفونَ المخبرون أن أحدهم، وإن أحسن وأبلغ، ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً وزبرجداً ومرجاناً، فنظمه قلائد وسموطاًوأكاليل، ووضع كل فص موضعهُ، وجمعَ إلى كل لونٍ شبهه وما يزيدهُ بذلك حسناً، فسمي بذلك صـانعاً رفيقاً(1) نجد أن الفروق الجوهرية بين نظم ابن المقفع ونظم الجرجاني، أنّ الألفاظ عند هذا الأخير لا مزية لها إلاّ في النظم بينما هي عند ابن المقفع فصوصا وياقوتا وزبرجدا ومرجانا وما فعل النظم بها سوى الجمع والتنسيق .

بقي أن نشير إلى أنّ نص ابن المقفع لم يرد في سياق مدح النظم وبيان فضله على الكلام وأنّه منشأ البلاغة والبيان، وإنّما ورد للتقليل من أهميته أو على الأقل لبيان فضيلة اللفظ على النظم

سيبويه 180هـ :

ممّا أورده في الكتاب وعنى به النظم ولكنّه لم يسمه باسمه قوله: "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة. فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.(2) فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غداً، وأمّا المحال فأن تَنقض أوّل كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً، وسآتيك أمس.وأما المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبلَ، وشربت ماء البحر ونحوه.وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زيدٌ يأتيك، وأشباه هذا.وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس .

1- الأدب الصغير لإبن المقفع ـ تحقيق الأستاذ أحمد زكي باشا – طبعة جمعية العروة الوثقي 1911م – صـ 7

2- الكتاب - سيبويه – تحقيق عبد السلام هارون - الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988–ج1 – صـ26

قسّم سيبويه الكلام إلى : مستقيمٌ، ومحالٌ، وحسنٌ،و قبيحٌ، وكذبٌ، وزاد أبو الحسن سعد بن مسعدة الأخفش صنفا آخر هو الخطأ
فالقبيح وضع اللفظ في غير موضعه ومثّل له بـ: قد زيداً رأيت، وكي زيدٌ يأتيك ... والأصل أن يقال: قد رأيت زيداً وكي يأتيك زيدٌ ، فهو كما ترى صحيح اللفظ ولكنّه ضعيف النظم، قد يفهم منه مقصده ومعناه ولكنه معيب تركيبيا وإعرابيا بسبب دخول قد وكي على الاسم بدل الفعل.
المحال: أن تنقض أوّل كلامك بآخره ومثّل له بـ: أتيتك غداً و سآتيك أمس .
والصواب أن تقول: أتيتك أمس وسآتيك غداً ليتوافق الفعل الذي افتُتح به الكلام مع الظرف الذي اختُتم به. و هو كسابقه مخالف لقواعد النحو والنظم لا يصح في كلام العرب ولهذا قال أبو الحسن سعد بن مسعدة الأخفش تلميذ سيبويه في وصف هذا القسم: "هو ما لا يصح له معنى، ولا يجوز أن تقول فيه صدق ولا كذب، لأنّه ليس له معنى، ألا ترى أنك إذا قلت: أتيتك غدا لم يكن للكلام معنى تقول فيه صدق ولا كذب
الحسن: ومثّل له بـ:أتيتك أمس وسآتيك غداً ، فهو ما استوفى شروط الصحة لفظا ونظما ومعنىً(1)
الكذب: ومثّل له بـ: حملت الجبل وشربت ماء البحر، ولعلّه قصد به ما استوفى شروط الصحة في لفظه ونظمه لا معناه
المستقيم : ولعلّه قصد بالمستقيم ما استقامت ألفاظه ولم تنتقض لأنّه جعل هذا القسم مقابلا للمحال الذي عرّفه بانتقاض أوّله بآخره،ومهما يكن الأمر على التفصيل فإنّنا نؤكد أنّ سيبويه راعى النظم واعتبره مقياساً ومعياراً يوزن به الكلام وينتقد .

يقول حاتم الضامن متحدثا عن اهتمام سيبويه بالنظم وإشارته له: "وكان اهتمام سيبويه بنظم الكلام وتنسيق العبارات واضحاً في مواضع كثيرة من كتابه فمنها: اهتمامه بحروف العطف وأثرها في صحة النظم وفساده، وتقديم المسؤول عنه بعد أداة الاستفهامّ وقد تحدث سيبويه عن مفهوم النظم مراعياً فيه أحوال النحو، فهو يرى أنّ لكل استعمال معناه، وتغيير الاستعمال لا بدّ أن ينشأ عنه تغيير المعنى، وهو لا يبعد في ذلك عن معنى النظم وإن لم يسمه باسمه .(2)

1- الكتاب _ سيبويه – تحقيق عبد السلام هارون– الناشر مكتبة الخانجي القاهرة – الطبعة الثالثة 1988م _ صـ 26
2- نظرية النظم تطور وتاريخ – حاتم الضامن –مطبعة دار الحرية. بغداد: 1399 هـ ، 1979م -صـ 8

بشر بن المعتمر 210هـ :

رئيس المعتزلة في بغداد صاحب الصحيفة البشرية التي استُلّ منها هذا النص ولعلّها من أقدم النصوص التراثية التي تناولت فصولا مهمة من علم البلاغة وفنّ الخطابة وحسن البيان, يقول بشر بن معتمر متحدثا عن المنزلة الثانية من منازل البيان وحسن الكلام : فإن كانت المنزلةُ الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أوَّل نظَرك وفي أول تكلُّفك وتجد اللفظةَ لم تقع موقعَها ولم تَصِر إلى قرارها والى حقّها من أماكنها المقسومة لها، والقافيةَ لم تحل في مركزها، وفي نصابها، ولم تصل بشكلها، وكانت قلقةً في مكانها، نافرةً من موضعها، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن، والنزول في غير أوطانها"(1)

الحديثهنا – كما ترى – عن "موقع" الألفاظ وعن "قرارها" و "حقّها" و "مكانها المقسوم لها" و"المركز" و"النصاب" فهذه جميعها اصطلاحات تشير إلى نظام معيّن ونسق محدّدٍ، لا تبلغ الألفاظ مبلغها من الفصاحة والبلاغة ومن الجمال والحسن ما لم تلتزم به وتنتظم في سلكه. فإن هي جانبته أو خرقته وأقحمت نفسها فيه إقحاماً "كانت قلقة في مكانها" "نافرة من موضعها" مغتصبة لحقّها، نازلة في غير موطنها(2) .

هذه لمحات عابرة لما جاء في صحيفة بشر بن المعتمر من إشارات للنظم ، وهي كما نعتقد من أقدم النصوص التراثية التي تناولت فصول من علم البلاغة وفن الخطابة .

1- البيان والتبيين – أبوعثمان الجاحظ – تحقيق موفق شهاب الدين – طبعة دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الثالثة 2009م – ج1 – صـ137

2- المرجع السابق نفسه صـ 138

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ 255هـ :

هو أشهر من ينسب إليه اصطلاح النظم بعد الإمام الجرجاني ولعلّه أحد أكثر من استعمله في كتاباته ومؤلفاته(1)بل وينسب إليه كتاب في النظم خاصة، هو كتابه المفقود "نظم القرآن" ، فقد أورد في مقدمة وبدايات كتابه الحيوان في محفل ردّه على بعض من انتقد كتاباته ورسائله نصًّا يذكر فيه شأن هذا الكتاب وموضوعه حيث يقول:

"عِبتَ كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه" (2)

ومن الراجح أن يكون القصد بنظم القرآن في هذا الكتاب مطلق نصّ القرآن أي صياغته وألفاظه وأسلوبه وتراكيبه، وبمثل هذا المعنى عرّفه غير واحد من أهل العلم كالشريف الجرجاني في تعريفاته حيث قال: "النظم هو العباراتُ التي تشتملُ عليها المصاحفُ صيغةً ولغةً " (3)
هذا فيما يخصّ كتابه عن نظم القرآن، أمّا مطلق إشاراته وحديثه عن النظم في مختلف كتبه ومصنفاته، فحدّث ولا حرج ، وسأنقل هنا شيئاً منها، ليعلم القارئ أنّ الجاحظ ومن وراء الجاحظ بيئته العلمية كانوا على دراية وعلم بفضل نظم الكلام وترتيبه وأثر ذلك في حسن الكلام وجودة البيان .
يقول الجاحظ في حجج النبوة:

"لو أن رجلاً من العرب قرأ على رجلٍ من خطبائهم وبلغائهم سورةً واحدة، طويلة أو قصيرة، لتبيّن له في نظامها ومخارجها وفي لفظها وطبعها أنّه عاجزٌ عن مثلها . ولو تحدّى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها. وليس ذلك في الحرف والحرفين، والكلمة والكلمتين.

1- كتاب الحيوان – الجاحظ – المحقق عبد السلام هارون – الناشر مصطفي البابي الحلبي – الطبعة الثانية 1965م - ج1 – صـ 9
2- رسائل الجاحظ - الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – الناشر مكتبة الخنانجي - 1408هـ -ج3 – صـ 287
3- التعريفات – الشريف الجرجاني- تحقيق مجموعة من العلماء – طبعة دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولي 1983م – صـ 233

ألا ترى أنّ النّاس قد كان يتهيَّأ في طباعهم، ويجري على ألسنتهم أن يقول رجل منهم: الحمد لله, وإنّا لله، وعلى الله توكلنا، وربّنا الله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وهذا كلّه في القرآن، غير أنّه متفرِّق غير مجتمع، ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضَّرب سورةً واحدة طويلة أو قصيرة، على نظم القرآن وطبعه، وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه، ولو استعان بجميع قحطان ومعدِّ بن عدنان(1).

النظم عند ابن قتيبة الدينوري 276هـ :

لقد عقد ابن قتيبة باباً افرده لتأويل الكلام الذي يبدو مخالفاً للنظم وترجم له بقوله (باب تأويل الحرف) والناظر في مباحث هذا الباب يجد أن ابن قتيبة قصد بالنظم هنا صفة كلام العرب ونسقه ونظامه مجملاً أو بمعنى آخر جريان الكلام وفق سنن العرب وقواعدهم لا النظم الذي هو الترتيب والتأليف (2).

محمد بن يزيد الواسطي 306هـ

صاحب (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) (3)هكذا ذكره ابن النديم في الفهرسوسماه غير واحد بإعجاز القرآن ، فلعلّ التسمية الثانية اختصار للأولى ، وقد شرحه عبد القاهر الجرجاني شرحا موسعاً سماه المعتضد وشرحاً ثانياً موجزا ، وقيل في تسمية الشرحين الإعجاز الكبير والإعجاز الصغير . والكتابُ والشرحان في حكم المفقود لا يُعرف عنهما شيء ، وقد جزم بعض الباحثين أنّ الواسطي بنى مفهومه للإعجاز على ما ابتدأه الجاحظ، كما بنى الجرجاني في دلائل الإعجاز على ما ذكره الواسطي(4).

1- حجج النبوة , من رسائل الجاحظ – الجاحظ – صـ 229
2- تأويل مشكل القرآن – ابن قتيبة الدينوري –تحقيق السيد أحمد صقر – الناشر دار التراث – الطبعة الثانية 1973م – صـ 299
3- الفهرست - ابن النديم تحقيق إبراهيم رمضان – الناشر دار المعرفة بيروت – الطبعة الثانية 1997م – صـ 57
4- نظرية إعجاز القرآن عند الجرجاني – بحث مقدم من محمد حنيف فقيهي لنيل درجة الماجستير في الآداب قسم اللغة العربية – منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا لبنان– صـ 45

نعم الاستفادة غير مستبعدة فالعلم رحم موصولة، يبدأ الآخرُ من حيث انتهى الأوّلُ ، وكيف لا يستفيد الواسطي من الجرجاني وهو قطب وأشهر المتكلمين في الإعجاز قبله، وكيف لا يستفيد منه وهو يشاركه المعتقد الإعتزالي... وكيف لا يستفيد الجرجاني من الواسطي وقد شرح كتابه شرحين موسّعا وموجزاً فتعدد الشرح وهذه الملازمة تقتضي - والله أعلم - اهتماما وإعجابا بالكتاب .

أعتقد أنّ كتابا لا نعرف عنه سوى اسمه واهتمام الجرجاني به، لا يمكننا أن نتوسع في مناقشة مادته ... فنتقوّل فيه بمجرد التخمين والتخريص والظنّ، ولعلّ الصواب أن نكتفي بحقيقة استفادة الجرجاني منه استفادة علمية مجملة

النظـم عند عبد القـــاهر الجرجـاني
ترجمة الإمام عبد القاهر الجرجـاني صاحب نظرية النظم

هو أبوبكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني ، ولد في جرجان لأسرة رقيقة الحال ، نشأ ولوعاً بالعلم محباً للثقافة ، فأقبل على الكتب يلتهمها خاصة كتب النحو والأدب .

هو فارسي الأصل جرجاني الدار وفيها عاش ولم ينتقل إلى غيرها حتى توفي سنة 471هـ ، وهو كحال غيره من العلماء لايعرف تاريخ ميلاده على وجه التحديد (1).

أخذه العلم :

أخذ العلم عن أبي الحسن محمد الفارسي ابن أخت أبي علي الفارسي ، كما أخذ الأدب علي يد القاضي الجرجاني ، كما تتلمذ عبد القاهر على آثار سابيقه من العلماء والشيوخ الذين أنجبتهم العربية ، فنحن نراه في كتبه ينقل عن الجاحظ ، وسيبويه ، وأبي علي الفارسي ، وابن قتيبة ، وقدامة بن جعفر ، والآمدي ، وابن هلال العسكـري (2).

آثـــــاره :

ترك الجرجاني آثاراً مهمة في مجال الشعر والأدب والنحو ، وعلوم القرآن ومما كتبه : كتاب المغني في شرح الإيضاح في النحو ، والعمدة في التصريف ، وكتاب الجمل ، أما في الأدب وعلوم القرآن فله كتاب : إعجاز القرآن ، والرسالة الشافية في الإعجاز، ودلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة ، وقد أور في كتابيه الأخيرين معظم آراءه في البلاغة العربية(3).

1- دلائل الإعجاز – تحقيق محمود شاكر – المقدمة – صـ8
2- طبقات الشافعية – أبوبكر الدمشقي – تحقيق د.الحافظ عبد الحليم خان – دار النشر عالم الكتب : بيروت – ج5 صـ 149
3- بغية الوعاة - السيوطي – تحقيق محمد أبو الفضـل إسماعيل – الناشر عيسي البابي الحلبي – الطبعة الثانية 1964م – ج2 – صـ 106

يعتبر عبد القاهر الجرجاني أحد المؤسسين لعلم البلاغة وتعد كتابيه دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة من أهم الكتب التي ألفت في هذا المجال ، وقد ألفها الجرجاني لبيان إعجاز القرآن الكريم وفضله على النصوص الأخرى من شعر ونثر وقد قيل عنه : "كان ورعاً قانعاً عالماً ذا نسك ودين" ، ألف العديد من الكتب وله رسالة في إعجاز القرآن . بعنوان الرسالة الشافية في إعجاز القرآن حققها مع رسالتين أخريين للخطابي والرماني نفس الكتاب كل من محمد خلف الله ، ومحمد زغلول ســلام ، وهي أفضل ماكتب في الإعجاز . نفي فيها الجرجاني القول بالصرفة مؤيداً كلامه بالحجج الدامغة والأدلة القاطعة .

شرح عبد القاهر الجرجاني نظرية النظم في كتابه دلائل الإعجاز وعرضها عرضا واسعا، ففي مقدمته يعرف النظم بأنه(تعليق الكلم بعضها ببعض،وجعل بعضها بسبب من بعض ،والكلم ثلاثاً :اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، لا يعدو ثلاثة أقسام:تعلق اسم باسم،تعلق اسم بفعل،تعلق حرف بهما)(1)

وبذلك كان أول ربط بين النظم وعلم النحو.

الفرق بين نظم الحروف ونظم الكلم

نظم الحروف:هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى ،ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل ،فلو أن واضع اللغة كان قد قال "ربض" مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد.

أما نظم الكلم:تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعني في النفس،وليس النظم هو الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق.

خلاصة قول الجرجاني

النظم هو توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم من علاقات حيث يقول : "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو،وتعمل على قوانينه وأصوله،وتعرف مناهجه التي نهجت،فلا تزيغ عنها،وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تبخل بشيء منها".(2) وهذا التعريف الشامل يوضح مدى العلاقة بين علم النحو وعلم المعاني في تحديد نظرية النظم.

1- دلائل الإعجاز ـ عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر – المقدمة
2- المرجع السابق نفسه صـ 8

الفرق بين النظم والنحو؟

عندما نحتكم إلى نصوص عبد القاهر حول النظم الذي عده دعاة إحياء النحو رسما لطريق جديد في النحو نجد تفرقة واضحة بين النحو والنظم
فمعاني النحو ثابتة لا تحتاج إلى جهد ومعاناة ،أما "النظم" فيكون في حسن التخير والنظر في وجوه كل باب،فينظر في صور الخبر ،والأساليب من شرط وتوكيد وتخصيص ،فيجيء بذلك حيث ينبغي له ،ويحتاج ذلك قسطا كبيرا من التذوق والحس الأدبي والسليقة السليمة،وتلك مهمة فوق مهمة البحث في الصواب والخطأ ،وهنا ارتبطت البلاغة بالنحو ارتباطا وثيقا ،حيث تبدأ مهمتها من حيث تنتهي مهمة النحو،لأنها ستتناول الصورة الصحيحة التي تدور حول غرض واحد لترى أيهما أرفع في درجات البلاغة ولماذا.(1)

الحكم علي مدى الصواب والخطأ في ضوء نظرية النظم :

من شاء أن يحكم على مدى الصواب والخطأ في نظرية النظم عليه أن يعالج قضايا التقديم والتأخير،والفصل والوصل،والإظهار والإضمار،والاستفهام ،والنفي،والحذف ،والتعريف والتنكير،وغيرها من مباحث علم المعاني ،وقد طبق الجرجاني بالفعل هذه النظرية تطبيقا عمليا منهجيا على آيات من كتاب الله ،وعلى نصوص من أشعار العرب ،فجمع بذلك بين النظرية والتطبيق ،وأسس لفرع هام من الدراسات البلاغية النقدية أفاد كل من خلفه في هذا المضمار.

1- نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم –عمار أحمد سيد محمد – طبعة دار الفكر دمشق :سوريا 1998م – صـ 167

المبحث الثـــــاني

تطبيق نظرية النظم علي النص عند عبد القاهر الجرجاني :

أ: التقديم والتأخير :

- تقديم اسم علي آخر أو تأخيره عنه
- تقديم الاسم أو الفعل وتأخيرهما
- تعلق الحرف بالاسم والفعل

تقديم اسم على آخر أو تأخيره عنه ينقسم على تعلق المعرفة بالمعرفة "زيدٌ المنطلق" و "المنطلق زيد" وفي هذا التقديم والتأخير يتم تفسير حكم كل واحد منهما فـ "زيـد" في الجملة الأولي مبتدأ والـ "منطلق" خبر له ، وفي الجملة الثانية أصبح المنطلق مبتدأ وزيـدٌ خبر له ، وهو تقديم لا على نية التأخير كما أسماه الجرجاني والنحويون من قبله وهو أن ننقل حكم المفردة من واحد إلى آخـر وتجعلها في باب مختلف وبإعـراب مختلف ، فالفرق هنا كبير بين الابتداء والاخبار ، وهو فرق لم يكن يوجد ضمن ممكنات اللغة لولا فائدة ما ، وهذه الفائدة هي العناية والاهتام (1).

والقسم الثاني تعلق المعرفة بالنكرة كقولنا : (زيـدٌ منطلق) و (منطلق زيد)

وهو تقديم علي نية التأخير فمن غير الممكن الإبتداء بالنكرة "منطلق" (2)

ولذا لايمكن جعلها مبتدأ ، ويجب أن تظل خبراً سواء تقدمت أو تأخرت ، وزيد في الجملة الأولي مبتدأ "ومنطلق" خبر له وفي الجملة الثانية ظل زيد مبتدأ مؤخراً وظل "منطلق" خبراً له وتقديم زيد يكون عند الإهتمام بأن زيد هو المنطلق ، وهذا يعني أنه إذا كان الإهتمام بأحد الاسمين المعرفتين أو بواحد من النكرة أوالمعرفة فينبقي تقديم الأهم أو الذي عنايتنا به أكبر ، هذا يعني أننا نرتب الكلمات في ذهننا علي أساس الأهمية والعناية وهو ما أراده الجرجاني بنظرية النظم التي وضعها .

1- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر – صـ83
2- المرجع السابق نفسه – صـ 84

تقديم الفعل أو الإسم وتأخيرهما :

وهو ينقسم حسب أنواع الأسماء والأفعال إلى أقسام :

ولكن ينبغي أن نشير هنا الى الفرق في استخدام الجملة الإسمية ، والجملة الفعلية من الناحية البلاغية . فقد صرَّح علماء البلاغة أن الجملة الإسمية تفيد الثبات والاستقرار، وقد تخرج عن هذا الأصل في بعض الحالات فتدل علي الحدوث والتجديد كما لو كان خبرها جملة فعلية ، أو تعلقت بها قرينة دالة علي الحدوث والتجديد ، وكان خبرها مفرداً أو جملة إسمية ، أما الجملة الفعلية فدالة في أصل وضعها على الحدوث والإستمرار ، فإذا كانت مبدوءة بفعل مضارع مثلاً دلت على حدوث الأمر في المستقبل ، أو كانت مبدوءة بفعل ماضي دلت علي حدوث الشيئ في الماضي (1).

1- بحسب أنواع الإسم

إذا كان الاسم معرفة فإن تقديم الاسم عليه أو تقديمه هو على الاسم يبرر بالعناية و الإهتمام أيضاً فإذا قلنا "زيد ينطلق" فقد جعلنا زيداً مبتدأ وجعلنا الجملة الفعلية خبر له ، وإذا قلنا (ينطلق زيد) فقد جعلنا الجملة فعلية فعلها "ينطلق" وفاعلها "زيد" في الجملة الأولى أردنا أن نوضح أن "زيد" هو من يكون منه الانطلاق بعد ثبوته الفعل وتحققه والفعل إذاً غير مهم كأهمية زيد ، ومن أجل ذلك استعملت الجملة الاسمية هنا ، بينما نحن في الجملة الثانية نريد أن نثبت فعل الإنطلاق لـ "زيد" وليس غيره من الأفعال التي يمكن أن يقوم بها "زيد" لذلك استعملت الجملة الفعلية ، وبأيهما كان الإهتمام كان التقديم من حقه (2).

1- علم المعاني – عبد العزيز عتيق – الناشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت:لبنان 2009م صـ68

2- قراءة في نظرية النظم – بحث للدكتور بيان شاكر جمعة -مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية – مارس 2009م صـ22

2- بحسب أنواع الفعـل

الأفعال كلها الماضي والحاضر والاستقبال ، لها الأهمية كلها إذا تقدمت وينالها عدم الاهتام إذا تأخرت كما هو الحال في كل أشكال التقديم والتأخير لأنه الأصل الذي يجري عليه هذا الفن على أنها يمكن أن تخرج الى معانٍ ثانية عند بعض حالاتها فإذا قلنا : "زيد انطلق" و "انطلق عمرو" فإننا في الجملة الاسمية الأولى جعلنا الأهمية لـ "زيد" دون غيره من المنطلقين وأردنا الحديث عنه وعن إنطلاقه ، وفي الجملة الفعلية قدمنا الفعل لأننا أردنا الحديث عن الانطلاق الواقع عن عمرو لا عن عمرو نفسه ، وهذا ما يبين لنا إذا كان الإسم نكره ، فقولنا "انطلق رجلٌ" فإننا أردنا الإهتمام بالانطلاق ولم يكن انطلاق رجل بعينه .

ويتبدي هذا الفرق بشكل أكبر عند الحديث عن الاستفهام فقولنا "أتنطلق اليوم ؟" لا تساوي "اليوم تنطلق ؟" لأننا في الجملة الأولي نسأل عن الانطلاق بينما نسأل في الجملة الثانية عن اليوم الذي يمكن أن يتم الانطلاق فيه .

3- بحسب الحرف وتعلقه بالإسم والفعل

دخول الحرف على الأسماء ومباشرته لها على ثلاثة فنون :

أولهما : وقوع الحرف بين اسمين ويكون ذلك في العطف "جاء زيد وعمر"والفرق بينهما يكمن في تنوع الحروف ذاتها لافي مباشرة الاسم أو أنواع الحروف المعطوفة فمن المعروف أن الواو للعطف دون ترتيب أو تراخٍ ثم العطف مع الترتيب والتراخي وهكذا ، وهي كلها تقوم بدور الواسطة بين الاسم الأول والثاني ، فتنقل حكم الأول وإعرابه إلى الثاني رفعاً أو نصباً أو جراً . (1)

ثانياً : أن يقع الحرف بين الفعل والاسم مع مباشرته للاسم وهذا مثل حروف الجر كقولنا : "مررت بزيد" والحرف هنا وظيفته إيصال الفعل الى الاسم لأنه لايمكن لفعل كهذا أن يباشر الاسم .

1- قراءة في نظرية النظم – بحث للدكتور بيان شاكر جمعة -مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية – مارس 2009م صـ23

ثالثاً : أن يتصدر الحرف صدر الكلام فيتعلق بجملة اسمية كالنفي والإستفهام بالحروف والأحرف المشبهة بالفعل فإذا قلت " مانائم زيد" نفيت فعل النوم عن زيد وإذا قلت "مازيد نائم" نفيت فعل زيد للنوم .

- من أسرار التقديم والتأخير التى أشار اليها الجرجاني حديثه عن الآية الكريمة قوله تعالي : (وجعلوا لله شركاء الجن) حيث قال : "ليس بخاف أن لتقديم الشركاء حسناً وروعة ومأخذاً من القلوب ، أنت لاتجد شيئاً من إن أنت أخرت فقلت : "وجعلوا الجن شركاء لله" وأنك ترى حالك حال من نقل عن الصورة المبهجة والمنظر الرائق ، والحسن الباهر، الى الشيئ الغفل الذي لاتخرج منه بكثير طائل ، ولاتصير النفس به إلى حاصل ، والسبب في أن كان ذلك كذلك هو أن للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليل لاسبيل له مع التأخير "(1).

وبيانه أنه وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله تعالى ، وكان هذا المعني يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم ، فإن تقديم "الشركاء" يفيد هذا المعني ويفيد معه معنى آخر هو وهو أنه ماكان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غيرهم .

1- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر

ب: **الحـــــــذف**

من موضوعات النظم التي تناولها عبد القاهر الحذف

والحذف لغة : حَذَفَ الشيئ يَحْذِفه حذْفاً قطعهُ من طرفه ، والحذافة ماحذف من شيئ فطرح ، والحذف قطع الشيئ من الطرف (1)

واصطلاحاً : الحذف ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية حيث يميل الناطقون بها إلى حذف ما يمكن للسامع فهمه اعتماداً على القرائن المصاحبة سواء كانت عقلية أو لفظية أو حالية (2).

الحذف عند الجرجانـــي

للحذف مكانة فسيحة في تحليل عبد القاهر الجرجاني لاسيما في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة إذ يبين مقدار الحذف في التعبير عن المعن الذي هو منتهى غاية المتكلم .

ولقد أكَـد الجرجاني أهمية الحذف لأنه يكسب اللغة متانة والكلام قوة يقول الجرجاني : (هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك انطق ماتكون إذا لم تنطق) (3).

ويظهر من هذا أنه مادام المعنى هو المقصود في الكلام فأقصر لفظ يوصل عليه هو المحمود .

1- لسان العرب – ابن منظور– طبعة دار المعارف – مادة "حذف"
2- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي – طاهر سليمان حمودة – الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية 1988م صـ 4
3- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر – صـ107

تعرض الجرجاني لظاهرة الحذف في كتابه دلائل الإعجاز حيث عقد باباً سماه باب الحذف ونكته مستكنهاً فيه مواضع الجمال الروعة في حذف المبتدأ والفعل والمفعول به خصوصاً ، وفي أسرار البلاغة فقد تطرق للحذف ومتى يعد من الإيجاز .

تحدث الجرجاني عن حذف نوعين من الأسماء وهما حذف المبتدأ وحذف المفعول به وهي أوضح مايقع فيها الحذف.

وأول الأسماء المحذوفة هو المبتدأ لأنه أكثر تأثيراً في المتلقي وذلك أنك حين تباشر الخبر في القراءة تبدأ في التفكير في المحذوف السابق عليه وتجد أنه حذف لأمر بلاغي ، بينما في حالة حذف الخبر فإنت تباشر القراءة بالمبتدأ ثم تجد خبره محذوفاً

فالنمط الأول الذي ذكرناه في الحذف أي حذف المبتدأ يدعوك للعودة للوراء للبحث عن المبتدأ المحذوف ، بينما النمط الثاني للحذف اي حذف الخبر يدعوك المبتدأ المذكور لمواصلة القراءة للبحث عن الخبر المحذوف ومثال ذلك قوله تعال : (سورة أنزلناها)(1) والتقدير "هذه سورة أنزلناها " وقد حذف منها المبتدأ لدليل يدل عليه .(2)

ومن حذف الخبر أيضاً لدليل يدل عليه قوله تعالي : (أكلها دائم وظلها)(3) أي "وظلها دائم " وهذه مواطن يجوز فيها الحذف والإبقاء .

1- سورة النور – الآية 1
2- قطر الندي – ابن هشام الأنصاري – تحقيق علي بن سالم – الناشر دار الوطن – سنة النشر 1420هـ - صـ 77
3- سورة الرعد – الآية 35

وبعد حذف المبتدأ والخبر يأتي حذف الفاعل ، ويطرد حذفه في ثلاثة مواضع ولايعني هذا ان حذفه واجب بل هو جائز كالآتي :

- بعد " إلا " نحو "ما قام إلإزيـد " اي ماقام أحد إلا زيد
- بعد المصــدر اي فاعل المصدر نحو قوله تعالى : (أو إطعام في يوم ذي مسقبة يتيماً ذا مقربة)(1) أي إطعام يتيم .
- في التعجب : اي فاعل أفعل التي للتعجب إذا دل عليه دليل متقدم كقوله تعالي : (أسمع بهم وأبصر)(2) أي وأبصر بهم .

فضلاً عن المبتدأ والفاعل والمفعول هناك الكثير من أنواع الحذف الأخـــرى ولكن الجــرجاني ركز علي هذه الثلاثة .

والحذف عدة أنواع :

- حذف كـــــــلمة : (والحافظين فروجهم والحافظات)أي والحافظات فروجهن (3)
- حذف جمـــــلة : (يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين * وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه) (4) فمن خلال هذا الحوار يتضح لنا أن هناك جملاً محذوفة ، وهي إعلام النسوة بالخبر، فكان الحذف أولي بالاذكر لأن القضية حساسة وليس من شأنها أن تذاع .
- حذف أكثر من جمــلة . وهذا يكون غالباً في القصص القرآني ، والغرض منه التركيز علي الأشياء الأساسية

1- سورة البلد – الآية 14ـــ15
2- سورة مريم – الآية 37 ـ38
3- سورة الأحزاب – الآية – 35
4- سورة يوسف – الآيات – 29-30

ج- **الفصـــل والــوصل :**

اهتم الإمام الجــرجاني إهتماما غير مسبوق بالفصـــل ، والوصل فكشف عنه اللثام ورفع عنه الحجاب وبحثه بحثاً منظماً يقوم على التحليل ، والتعليل مبيناً معناه الحقيقي جاعلاً إتقان الفصل والوصــل علماً على البلاغة وأمارة علي جودة الكلام وسر من أسرارها إذ يقول (لانعلم شيئاً يبتغيه الناظم غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ، فينظر في وجوه الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل) (1).

يتضح من قول الإمام الجرجاني أن فكرة الفصل والوصل هي فكرة نحوية في أساسها لأنها تعتمد على إسلوب نحوي معروف "بالعطف "

ويمكن تسجيل الملاحظات التالية حول الفصل والوصل عند الجرجــاني :

- إن الوصل عطف الجمل بعضها علي بعض
- إن الفصل ترك للعطف في الجمل والمجيئ بها مقطوعة
- إن الذوق الفني عند العرب هو الذي جعلهم يركزون على معرفة الفصـل والوصــل .
- إن العرب اعتبروا الفصل والوصــل حــداً للبلاغة وسبباً من أسبابها
- إن الخبرة بمواضع الفصل والوصـل تعد من المسالك الدقيقة والمسائل الملحة التي تحتاج إلى تمعن ومزيد من النظر .

تتمثل أنواع العطف عند الجرجاني في الآتي :

العطف وفائدته في المفرد :

المعاني الكامنة في عطف الإسم المفرد علي المفرد وفائدته تتمثل عند الجرجاني في إشراك الثاني في إعراب الأول ، وإذا شاركه في الإعراب شاركه في الحكم أي أن الواو تنقل الحكم الإعرابي فالمعطوف على المرفوع فاعل مثله (2).

1- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر صـ 82
2- المرجع السابق نفسه – صـ 223

أما عطف الجمل عند الجرجاني فعلي ضربين :

الأول : أن يكون للجملة المعطوف عليها موضع من الإعراب ، وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد ، فلا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد ، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جارياً مجرى عطف المفرد على المفرد ومن ثم يكون وجه الحاجة للواو ظاهراً والاشتراك بها في الحكم موجود .

الثاني : العطف على الجملة العارية من الموضع من الإعراب جملة أخرى كقولنا : "زيدٌ قائم وعمرو قاعد" لاسبيل هنا للقول إن الواو أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه (1).

معـاني العطف بالواو والفاء وثـم :-

بين الإمام الجرجاني أن العطف تستعمل معه حروف الواو ، والفاء، وثم ، إلا أنه اختص الإشكال بالواو دون غيرها من حروف العطف ، لأن هذه الحروف تفيد مع الاشتراك معاني أخرى ، كالفاء التي توجب الترتيب من غير تراخٍ ، وثم التي توجب الترتيب مع التراخي ، بخلاف الواو التي ليس لها معاني إلا الإشتراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي اتبعنا فيه الثاني الأول (2)

عطف الجمل بالواو :

إذا كان المخبر عنه في الجملتين واحد كقولنا :

"هو يقول ويفعل" و "يضر وينفع" وأشباه ذلك ، ازداد معنى الجمع في الواو قوة وظهوراً ، وكان الأمر حينئذٍ صـريحاً ، وذلك إذا قلت : "هو يضر وينفع" أوجبت له الفعلين وجعلته يفعلهما معاً، ولو قلت "يضر ينفع" من غير واو لم يجب له ذلك الفعليين ، بل قد يجوز أن يكون قولك "ينفع" رجوعاً عن قولك "يضـر" وإبطالاً له (3).

1- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر صـ222
2- المرجع السابق نفسه – صـ 225
3- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر صـ226

ويؤكد الإمام الجرجاني أن وقوع الفعليين في مثل هذه الصلة يزيد الاشتباك بين الجملتين ويزيد الامتزاج والاقتران بينهما ، لأنه إذا كان للجملة محل من الإعراب قوي شبهها بالمفرد فيكون بذالك العطف عليها احكم وأوقع فيقول : (وإذا وقع الفعلان في مثل هذه الصلة إزداد الإشتباك والإقتران حتى لايتصور تقدير إفراد أحدهما عن الآخر) (1).

- الجمل التي لاتحتاج الى رابط في عطفها :

منها الصفة والتأكيد يقول الجرجاني : (الصفة لاتحتاج في إتصالها بالموصوف إلى شيئ يصلها به ، والتأكيد لايحتاج إلى ما يصله بالمؤكد) (2) .

- العطف علي جواب الشـــــرط :

أشار الجرجاني إلى أن العطف على جواب الشرط ينقسم إلى ضربين :

الضرب الأول : أن يكونا شيئين يتصور وجود كل منهما دون الآخــر مثل : (إن تأتِ أكرمك ، وأعطك ، وأكسك)

الضرب الثاني : أن يكون المعطوف شيئاً لايكون حتي يكون المعطوف عليه ، ويكون السبب فيه بواسطة كونه سبباً للأول ، ويمثل لذلك عبد القاهر بقوله : إ

ذا جاء الأمير استأذنته وخرجت " فالخروج لايكون حتى يكون الإستئذان ، وقد صار الرجوع سبباً في الخروج ، من أجل كونه سبباً في الاستئذان (3).

1- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر صـ227
2- دلائل الإعجاز – صـــ 228
3- المرجع السابق نفسه – صـ 233

د- **الإستعـــــارة :**

تناول عبد القاهر الجرجاني الاستعارة وقضاياها في كتابيه المشهورين فقد ذكرها في مواطن كثيرة من كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، ودراسة البلاغة عنده تستحق وقفة خاصة لأنه طور مباحثها بكيفية لم يسبق عليها ،والذي يهمنا هنا تناوله لها في دلائل الإعجاز عند حديثه عن النظم

لم يقبل الجرجاني كل ما خلفه السابقون ، بل حاول أن يناقش، ويوازن ، ويرفض ، ويقيم ، مستعيناً بفكره الدقيق وإحساسه المرهف ، واستطاع أن يضيف إلى نتاج من سبقه في دراسة البلاغة الشيئ الكثير .

تحدث الجرجاني عن الاستعارة تحت اسم "البديع" لأن التقسيم الثلاثي للعلوم اللبلاغة لم يكن معروفاً في ذلك الوقت إذ يقول الجرجاني : (وأما الاستعارة وثائر أقسام البديع فلا شبهة أن أن الحسن والقبح لايعترض الكلام بها إلا من جهة المعاني خاصة ، من غير أن يكون للألفاظ في ذلك نصيب ، أو يكون لها في التحسين أو خلاف التحسين تصعيد وتصويب) (1) .

ثم يقدم عبد القاهر الجرجاني مفهوما عاما للاستعارة بقوله : (إعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف ، تدل الشواهد على أنه أختص به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلاً غير لازم) (2) .

ثم يعرف عبد القاهر الجرجاني البلاغة تعريفاً جامعاً مانعاً هو قوله : "أن الاستعارة نقل اسم عن أصله إلى غيره للتشبيه على حد المبالغة "(3) فهذا التعريف يحدد لنا طبيعة الاستعارة ومنهجها وغايتها .

1- أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر – مطبعة دار المدني جدة – الطبعة الأولي 1991م – صـ 20
2- المصدر السابق نفسه – صـ 30
3- أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني – صـ 398

وهناك تعريف آخـر يبين لنا نوع الإستعارة وهو "أن الإستعارة هي تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه "

قسم عبد القاهر الجرجاني الاستعارة إلى استعارة مفيدة ، واستعارة غيـر مفيدة(1). وقد أهمل غير المفيدة لأنها لاتدخل في المجال البلاغي فهي لاتفيد معىً زائداً .

أما الاستعارة المفيدة عند عبد القاهر الجرجاني فهي تلك التى تنبعث من التشبيه ، وتتركز فائدتها في إبراز الفكرة واضحة وجلية ، وإظهار الصورة في مظهر حسن تهتز إليه النفوس ، وتميل إلي إليه القلوب ، ثم نراه يقسم الاستعارة المفيدة الى قسمين :

استعارة تصريحية ، واستعارة مكنية

لكنه لم يشير إلى هذه التسمية صراحة بل رسم ملامح الأولى في الاسم بقوله: (أن تنقله عن مسماه الأصلي إلى شيئ آخر ثابت معلوم فتجريه عليه ، وتجعله متناولاً له تناول الصفة للموصوف ، وذلك كقولك : "رأيت أسداً" وأنت تعني رجلاً شجاعاً نقله عن مسماه الأصـلي فجعله سماً له علي سبيل ألإعارة والمبالغة والتشبيه) (2)

وأشار عبد القاهر الجرجاني إلى الاستعارة المكنية بقوله : (أن يؤخذ ألاسم من حقيقته ويوضع موضعاً لايبين فيه شيئ يشار إليه فيقال هذ هو المراد بالاسم ، والذي استعيـر له ، وجُعل خليفة لاسمه الاصلي وناب منابه) كقولك :

"انبري لي أسد يزأر" و "سللت سيفاً للعدوء لايفل" (3).

ويؤكد الجرجاني الأصـل التشبيهي للاستعارة فنراه يؤكد في أكثر من موقع ، فالاستعارة عنده ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل ، والناجحة فيها ماطبق فيها مفصل التشبيه لأنه كالأصـل في الاستعارة ، وهي شبيهة بالفرع له أو صورة مقتضبة من صوره .

1- أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر – صـ 30
2- المرجع السابق – ص 44
3- المرجع السابق نفسه – صـ 45

فالتشبيه هو الحقيقة التي تقوم عليها الإستعارة ، فإذا كان التشبيه واضحاً ظاهراً قريباً كانت الإستعارة قوية .

يقول عبد القاهرالجرجاني : (وأعلم أن من شأن الاستعارة أنك كلما زادت إرادتك للتشبيه إخفاء إزدادت الاستعارة حسناً حتى إنك تراها أغرب ماتكون إذا كان الكلام قد ألف تأليفاً ، إذا اردت أن تفصح فيه عن التشبيه خرجت الى شيئ تعافه النفس ، ويلفظه السمع) (1)

هكذا قد أسهم عبد القاهر الجرجاني في تطوير مفهوم الاستعارة في البلاغة العربية ، فقد استطاع استيعاب أفكار سابقة وتمكن من تحليلها ونقدها وبين الأثر النفسي الذي تخلقه لدي المتلقي ، وأضاف إليها من فكره الشيئ الكثير ويعود له الفضل في كثير من التقسيم والتبويب .

1- أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر صـ 45

المبحث الثالث

مفهـــوم الغمـــوض

أشارت المعاجم العربية القديمة إلى الغموض من خلال استخداماته اللغوية المختلفة، فالغموض في اللغة مصدر من غَمُضَ (بفتح الميم وضمها) وكل ما لم يصل إليك واضحاً فهو غامض، ولذلك فالغامض من الكلام خلاف الواضح، كما يقال للرجل الجيد الرأي: قد أغمض النظر. والمسألة الغامضة: هي المسألة التي فيها دقة ونظر. ومعنى غامض: لطيف[1].

فالغموض الذي يعنيه البحث هنا هو "ليس ذلك الذي يصعب فتح أقفاله وتخطي أسواره ليصل إلينا، بل هو السمة الطبيعية الناجمة عن آلية عمل القصيدة العربية وعناصرها المكونة من جهة، وعن جوهر الشعر الذي هو انبثاق متداخل من تضافر قوات عدة من الشعور والروح والعقل متسترة وراء اللحظة الشعرية".

والغموض المعني هنا هو ما شدك إلى حوار معه، واستفز مشاعرك وعقلك من خلال غموض عباراته وصوره وموسيقاه، إذ يتجسد الغموض في ثراء النص الابداعي، وتعدد دلالاته وقراءاته، مما يخلق نوعاً من اللذة الحسية والذهنية تجاه خبايا النص واللامتوقع أو اللامنتظر في صوره وجمالياته الفنية.

ولذا، فإن الغموض له دلالتان: دلالة جمالية يكون الغموض بموجبها فنا، ودلالة لغوية يكون فيها إبهاماً وتعمية. وبهذا المفهوم يشكل الغموض ظاهرة فنية مرتبطة بالفن الإنساني، وبالفنان المبدع، مما يجعل المتلقي لهذا العمل الفني بحاجة حسية وفكرية ماسة من أجل فك رموز العمل الفني، وتفسير دلالاته، وتحديد قراءاته، لكي يقف المتلقي على طبيعة العمل الفني وجوهره، وهذه الحال تشكل قمة اللذة الحسية والذهنية عند المتلقي، كما أنها تجسد غاية المبدع وهدفه[2]

1- لسان العرب –ابن منظور– طبعة دار المعارف–مادة غمض
2- ظاهرة الغموض بين الجرجاني والسجلماسي – بحث للدكتور محمود درابسة – جامعة اليرموك الأردن – صـ2

عناصر الغموض عند عبدالقاهر الجرجاني.

لقد بين عبد القاهر الجرجاني أهمية الغموض وعناصره، وفرق بين الغموض والتعقيد السلبي الناشئ عن الضعف والركاكة وسوء الفهم، كما أبرز الفرق بين الغموض والوضوح، إذ إن سمة الغموض ركيزة أساسية للعمل الابداعي.

ولذا فقد عد الجرجاني سوء النظم والتأليف وانغلاق الكلام سبباً من أسباب التناهي في الغموض إلى درجة التعقيد، يقول: "واعلم أن لم تضق العبارة ولم يقصر اللفظ ولم ينغلق الكلام في هذا الباب إلا لأنه قد تناهى في الغموض والخفاء إلى أقصى الغايات"[1].

ويكشف هذا الموقف للجرجاني عن إدراكه لأهمية الغموض في بنية النص الابداعي، فهو جوهره وأساسه. فالغموض هو الذي يثير الدهشة والاستفزاز للمتلقي، ويجعل من النص الابداعي نصاً ابداعياً. ومن هنا، فإن الجرجاني لا يعارض الوضوح والقرب في المعاني الأدبية شريطة أن لا يصل هذا الوضوح إلى حد السطحية والركاكة والضعف مما يبعد النص الابداعي عن جوهره وإثارته للمتلقي. فالنص الذي تتعدد وجوه التأويل فيه، ويستفز القارئ إلى بذل الجهد في المتابعة والتفكير هو النص الابداعي الأصيل. كما أن وضوح النص في ظاهره، وفي قراءة القارئ الأولية له لا يعني الوضوح السطحي، فقد يبدو القول التالي: (كالبدر أفرط في العلو) سهلاً وبسيطاً، بيد أن المتفحص لهذا التشبيه يخرج إلى معانٍ أخرى إضافية تحتاج إلى التفكير والدقة. يقول الجرجاني: "هذا- وليس إذا كان الكلام في غاية البيان وعلى أبلغ ما يكون من الوضوح أغناك ذاك عن الفكرة إذا كان المعنى لطيفاً، فإن المعاني الشريفة اللطيفة لا بد فيها من بناء ثان على أول، ورد تال إلى سابق.

1- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر – صـ 210

فمجال الغموض إذن عند عبدالقاهر الجرجاني يكمن في المستوى الفني للعمل الابداعي المتمثل في ضروب البلاغة المختلفة مثل الكناية والمجاز والاستعارة والتشبيه ثم في الصورة والصياغة. يقول "قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح. وأن للاستعارة مزية وفضلاً. وأن المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة"[1]. وهذا الفهم هو ما عبر عنه الجرجاني في موقع آخر من كتابه دلائل الإعجاز ليسميه بمعنى المعنى وهو المستوى الفني الذي يقع فيه الغموض. يقول: "وإذ قد عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة وهي أن نقول المعنى ومعنى المعنى تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر ، وهذا ما يعرف بخروج الكلام عن مقتضى الظاهر .

الغايــة من معرفــة النـظــم

إن غاية مايسعي إليه عبد القاهر الجرجــاني من نظرية النظم هو الوصـول بتعبيراتنا اللغوية إلى مستوى رفيع ليأتِ التعبير عن المعاني مساوياً للحقيقة التي في نفس السامع والقــارئ والمتكـلم ، دون زيادة أو نقصــان ودون الحاجة إلى اجتهاد في تأويـل أو تفسير ، فيجب أن تأتي صورة الكلام مساوية للمعاني صورة بصورة حساً وحركة وحيوية ولوناً ومفهوماً دون ملابســة يقـــــول الجرجاني : (واعلم أن الفائــدة تعظم في هذا الضــرب من الكلام إذا أنت أحسنت النظر فيما ذكرت لك من أنك تستطيع أن تنقل الكـــلام في معناه من صورة إلى صورة دون أن تغيــر في شكله شيئاً) [2]

1- دلائل الإعجاز – الجرجاني – تحقيق محمد رشيد رضا – مطبعة دار المعرفة بيروت 1981م – صـ 55

2- دلائل الإعجاز – الجرجاني – تحقيق محمد رشيد رضا- صـ 85

أثــر النظــم في النقــد العــربي

الباحث المتتبع لدراسة عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم يري أنه جعل النظم أساساً للنقد ومرجعاً لبيان القيمة الفنية في العمل الأدبي كما أنه جعل من النظم قوانين ترشــد الذوق الفني إلى الكشف عن مرتبة الكلام، وقد بزل أقصى جهده في لتستقر فكرته في العقول ، حتى أصبحت فكرته السليمة مرجعاً للنقاد والباحثين , فقد وضع ميزاناً يستطيع به الناقد أن يزن الصورة البيانية ويرد عناصرها البيانية الى طريقة التأليف في العبارات ، ومنه استمدت فكرة البنية السطحية والبنية العميقة التى نادي بها تشومسكي * كما رسَخ أيضــاً لفكرة التعليل لكل ما تحسنه أو تستجيده إذ يقول : (لابد لكل كــلام تستحسنه ولفظ تستجديه من أن يكون لإستحسانك جهة معلومة وعلة معقولة) (1)

1- * نعوم تشومسكي أستاذ لسانيات وفيلسوف امريكي , مؤسس نظرية النحو التوليدي
2- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمد رشيد رضا – 86

النظـــم القرآنـــي

منذ أن قدر الله تعالى نزول القرآن الكريم ليكون مصدر تشريع للمسلمين في زمن اشتهر بالفصاحة والبلاغة فأصبح معجزة لهم وسبب في هدايتهم ، ومنذ ذلك الحين كثر التأليف عن فضـــله وقوة تاثير في النفوس ، وعن سر إعجازه للعرب قاطبة ، ومن الذين تحدثوا عن هذا الإعجاز وألَّفوا فيه الإمام عبد القاهر الجرجاني ، الذي سنقف في بحثنا هذا مع ماقاله في نظم القرآن الكريم في حديثه عن نظرية النظم .

حاول الجرجاني بشتى الطرق أن يوضح موقفه وقصده بالنظم ومن إشاراته لتوضيح معنى النظم عامة والقرآني خاصة بأن ينفي كون النظم راجع للألفاظ نفسها ، ولكن يبقي السؤال هنا ما الذي أعجزهم فيه ؟

معانيه الدقيقة الصحيحة القوية ؟ أم ألفاظه المحكمة الفصيحة ؟

أجاب الجرجاني عن سر عجز العرب عن الإتيان بمثله وفسر إعجابهم به فقال : (أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه) (1).

البحث في منهج عبد القاهر يحتاج إلى وقت وجهد كبيـرين ولكن حسبنا هنا الإشارة إلى مفهوم عبد القاهر الجرجاني للنظم القرآني وكيفية تعامله لإخراج نكت القرآن للمفسرين عامة والبلاغيين خاصة .
ويتضح بذلك فرق ما بين نظم القرآن وتأليفه، وغيره من نظم البشر، فليس يعرف فروق النظم، إلا من عرف القصيد من الرجز، والمخمس من الأسجاع، والمزدوج من المنثور، والخطب من الرسائل، وحتى يعرف العجز العارض الذي يجوز ارتفاعه، من العجز الذي هو صفة في الذات.فإذا عرف صنوف التأليف عرف مباينة نظم القرآن لسائر الكلام ثم لا يكتفي بذلك حتى يعرف عجزه وعجز أمثاله عن مثله، وأن حكم البشر حكم واحد في العجز الطبيعي، وإن تفاوتوا في العجز العارض.

1- دلائل الإعجاز – الجرجاني – تحقيق محمد رشيد رضا – صـ 84

علم المعـاني

لما كانت نظرية النظم تشتمل على مباحث علم المعاني رأى الباحث أن يعطي فكرة موجزة عن علم المعاني وموضوعاته .

فكرة عامة : علم المعاني هو فرع من فروع علوم البلاغة الثلاثة "المعاني ، البيان ، البديع "وهذه التقسيمات أتى بها المتأخرون وإلا أن البلاغة جسم واحد ووحدة واحدة تتضافر جميع علومها لخدمة النص الأدبي وبيان مافيه من من إبداع وخفايا وأسرار .

يختص علم المعاني بالمعاني والأفكار ، فهو يرشدنا الى أختيار التركيب الغوي المناسب للموقف ، كما يرشدنا إلى جعل الصورة اللفظية أقرب ما تكون دلالة على الفكرة التي تخطر في أذهاننا وهو لايقتصر على البحث في كل جملة مفردة على حدة ، ولكنه يمد نطاق بحثه الي علاقة كل جملة بالأخري ، وإلي النص كله بوصفه تعبيراً متصـلاً عن موقف واحد ، كما أن علم المعاني يرشدنا إلى مواطن الإيجاز والإطناب ، والفصـل والوصـل حسبما يقتضيه الحال (1) .

تعريف علم المعــاني :

"هو العلم الذي يعرف به أحوال اللفظ العربي ومطابقته لمقتضى الحال "

قال السكااكي : "علم المعاني هو تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره" (2).

1- الإيضــاح – الخطيب الغزويني – مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية 2006م – صـ22

2- مفتاح العلوم – السكاكي – تحقيق نعيم زرزور – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الثانية 1987م – صـ 435

موضوعات علم المعاني :

هو تتبع خواص تراكيب الكلام ومعرفة تفاوت المقامات ، حتي لايقع المرء في الخطأ لأن للتراكيب خواص خاصة بها يعرفها الأدباء إما بسليقتهم ، أو بممارسة علم البــلاغة ، وتلك الخواص بعضها ذوقية وبعضها استحسانية ، وبعضها توابع ولوازم للمعاني الأصلية ، ولكنه لزوماً معتبراً في عرف البلغــاء .

أقسام علم المعاني :

يشتمل علم المعاني على موضوعات وتراكيب مهمة منها :

أ- الخبــر والإنشــاء : الخبر هو مايحتمل الصواب والخطأ لذاته ، أما الإنشاء فهو الذي لايحتمل الصواب والخطأ لذاته .

يتكون الخبر من : جملة إسمية اي مبتدأ وخبر وهي تأكيد إسناد المسند الي المسند إليه (1)مثل قولنا : "الشمس مشرقة"

وجملة فعلية أي : فاعل وفعل ومفعول ، وهي مرتبطة بالحدث مع وجود دلائل علي ذلك ، أو استمرار حدوثه كقولنا: "كتبت الطالبة قصة " .

ويقسم الإنشاء إلى :

إنشاء طلبي : وهو مالم يتحقق في الوقت الحالي وتستخدم فيه أساليب كثيرة مثل الأمر ، والإستفهام ، والنداء والنهى والتمنهى .

إنشاء غير طلبي : وهوما لايعتمد على طلب ، وتستخدم فيه أساليب عديدة مثل: المدح ،والقسم والرجاء وغيرها (2).

1- مفتاح الغلوم – السكاكي – تحقيق نعيم زرزور- صـ432
2- المناهج الواضح للبلاغة – حامد عون – المكتبة الأزهرية للتراث – ج2- صـ5

ب-التقديم والتأخيــر

من الأحوال التي يقدم ويؤخـر فيها الكلام الآتي:

- تعجيل الوصول الى الفكرة المطلوبة من الجملة
- تغيير المشاعر بين التفاؤل والتشاؤم

القصـر : وهو التخصيص :أي وجود خاصية ينفرد بها كل شيئ محدد كقولنا : "لاينجح إلا المجتهد "تستخدم مع القصر حروف العطف وحروف أخري كـ إنما، وبل ، ولكن .

ج- الإيجاز: وهو استخدام أكبر عدد ممكن من المعاني مع أقل عدد ممكن من الألفاظ ، بشرط تحقيق المعنى المطلوب (1) ، وينقسم الإيجاز الي قسمين هما :

- إيجاز القصر : ويسمي إيجاز البلاغة وهو وجود معاني كثيرة في الجملة مع ألفاظ قليلة
- إيجاز القصر : وهو حذف حرف أوكلمة أو عدة جمل .

1- مفتاح الغلوم – السكاكي – تحقيق نعيم زرزور- صـ433

الفصـــل الثانـــــي

- **المبحث الأول : التقديم والتأخير**
- **المبحث الثاني : الذكر والحذف**
- **المبحث الثالث : الإيجاز والإطناب**
- **المبحث الرابع : القصـر**
- **المبحث الخامس : الفصل والوصل**
- **المبحث السادس : الاستعارة**

المبحث الأول

التقديم والتأخـر

نظـــــرات في ســـورت هـود

سورة هود عليه السلام سورة مكية عدد آياتها مائة وإحدى وعشرين آية نزلت بعد سورة يونس وقبل سورة يوسف عليهما السلام ، وسميت باسم هود عليه السلام لكثرة تكرار اسمه فيها .

وتعنى بأصول العقيدة الإسلامية التوحيد والرسالة والبعث والجزاء وقد عرضت لقصص الأنبياء بالتفصيل تسلية للنبي علي ما يلقاه من اذى المشركين .

وسورة هود كغيرها من سور القرآن الكريم تحمل بين طياتها الروعة والبهاء ، وتحمل في باطنها البلسم والشفاء، ويستقر في أحشائها نور واضح ، وبرهان ساطع ، وهي ذاخرة بالفضائل ، تنافس كثير من العلماء والمفسرين في ذكر مواطن الحسن ومواطن الجمال فيها ، وهي مزدانة بالبلاغة والمحسنات البديعية ، ففيها آية فاقت الفنون البلاغية التى جاء بها العرب في عدد كلماتها في إعجاز بلاغي رائع ، ونظم بياني منقطع النظير ، لايدركه إلا رجـل رشيد ، ولا يتذوقه إلا ذو عقل سديد ، ولا يتشربه إلا صاحب صبر مديد ، سنعرض لها مع غيرها من الآيات في موضعها .

القرآن الكريم بحر خضم في أحشائه الدر كامن ، ومنهل عذب يرده كل صـــاحب حاجه ، وكل سورة من سور القرآن ترسم لنا سبيلاً مضيئاً ، وكل آية من آياته تضيئ لنا سراجاً وهاجاً . وكل حرف من حروفه تقرُ به عيوننا ، وتطرب له أسماعنا ، وتتغنى به ألسنتنا ، وتطمئن به قلوبنا ، وتثبت به أفئدتنا .

ولا تفترق سورة من سور القرآن عن سحر بيانها ، ولا تتفاوت آية على آية أخري في عظمة بلاغتها ، ولا تختلف كلمة من كلماته عن أختها في روعة رونقها .

وبما كان القرآن مادة ثرية بسوره ، وكانت آياته أرضاً خصبة للباحثين ظل العلماء على مدى الأزمان والعصور ، يبدعون في إظهار جمالياته ، وكشف تجلياته ، وإعجازه الذي أذهل السامعين ، وأدهش الناظرين ، ورسم الطريق للتائهين ، وهدى السبيل للضالين وثبت خطى المترددين ، كيف لا وقد شهد أرباب البيان ورؤس الفصاحة بذلك

جميعنا قد وقف على قول الوليد بن المغيرة عندما سمع القرآن يتلى من النبي محمد صلي الله عليه وسلم إذ قال : "والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ماهو من كلام الإنس ، ولا من كلام الجن ، وإن به لحلاوة وإن لسمعه لطلاوة ، وأنه يعلو ولا يعلى عليه ، وماهو بقول بشر "(1).

وأكتفي في هذا الموطن بقول الباقلاني : "القرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، آياته وسوره اشتملت علي أمور الدين والدنيا ، وانتظمت سعادة الدنيا والآخرة ، ونزلت نور وهدى للبشر كافة ، فقضت على الأوهام الباطلة ، والأساطير الكاذبة ، والعبادات الضالة ، والأديان المنحرفة ، أحال الظلام ضياء ، والشقاء سعادة ، واليأس أملاً ، والهمجية مدنية ، والجهل علماً وفناً وأدباً ومعرفة " (2)

1- البحر المحيط – محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي القرناطي – الناشر : دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت :لبنان – الطبعة الثانية 1987م - ج5- صـ227

2- إعجاز القرآن _ الإمام القاضي أبوبكر الباقلاني – تحقيق السيد أحمد صقر – الطبعة الرابعة – دار المعارف القاهرة – صـ 17

- **التقـــديم والتـــأخيـر**

التقديم والتأخير هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية لايزال يفترَّ لك عن بديعه ، ويفضي بك إلى لطيفه ، ولا تزال ترى بشعورك مايروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد أن سبب ما راقك ، ولطف عندك أن قدم فيه شيئ ، وحول اللفظ من مكان إلى مكان آخـر (1).

والتقديم هو أحد الأساليب البلاغية ، وأحد الدلائل على براعة الإنســان العربي ، فقد أتى به العرب دلالة على تمكنهم في الفصاحة ، وملكتهم في الكلام وله في القلوب أحسن موقع وأعزب مذاق (2).

وقد يكون التقديم على نية التأخيـر ، وقد لايكون على نية التأخير ، وذلك في كل شيئ أقررته مع التقديم علي حكمه الذي كان عليه ، وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل .

والتقديم الذي لا على نية التأخيـر ، ولكن على أن تنقل الشيئ من حكم إلى حكم ، وتجعل له باباً غير بابه ، وإعراباً غير إعرابه ، وذلك أن تجيئ الي إسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ، ويكون الآخر خبراً له ، فتقدم هذا تارة علي ذلك ، والتقديم والتأخيـر لايمكن أن يؤدي غرضاً إذا استخدم عشوائياً ، وإنما يحتاج الى من يتمكن من معرفة دقائقه ، ويستطيع سبر أغواره ، ولايتمكن من السبق في هذا المضمار إلا صاحب علم غزير وإلمام واسع بمفردات اللغة وأسرار تركيبها حتى يستطيع أن يبين بالإشــارة ما تعجز عنه العبارة .

1- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر – صـ 106
2- البرهان في علوم القرآن – بدر الدين الزركشي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار التراث للنشـر – ج3 _ صـ 273

سورة هود كغيرها من سور القرآن لاتخلو من التقديم والتأخير ، فإذا قلبنا صفحاتها، وتنقلنا بين آياتها ، وجدنا نماذج متنوعة للتقديم والتأخير ، راينا من خلالها روعة النظم القرآني الذي يستحى أن يكون في مقدور البشر الإتيان بمثله . وأول نمازج التقديم والتأخير التي نقف عندها في سورة هود تقديم "الاستغفار" علي "التوبة " في قوله تعالي: **(وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ)**(1) قدم الإرشاد إلى الاستغفار على التوبة لكونه وسيلة إليها ، وقيل أن التوبة من متممات الاستغفار (2) فالتوبة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار وما كان آخراً في الحصول كان أولاً في الطلب ،فلهذا قدم الاستغفار علي التوبة ، ويرى الفخر الرازي في فائدة هذا الترتيب أن المراد من الاستغفار الاستغفار من سابق الذنوب ثم توابوا إليه في المستقبل – أي بعد الاستغفار عن الذنوب السابقة- وذكر الإستغفار قبل التوبة لأنه عمل يقوم به الإنسان ويتوسل به لدفع كل مكروه (3) .

ومن التقديم والتأخير في هذه السورة تقديم تقديم قوله : "نذير" على "بشير" في تعالى : **(أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ)**(4)قدم النذير على البشير لأن التحذير من النار هو الأهم(5).

ومن التقديم أيضاً تقديم أمر الأرض علي أمر السماء في قوله تعالى : **(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)**(6) . يري محي الدين الدرويش أن تقديم أمر الأرض علي أمر السماء لإبتداء الطوفان منها (7).

1- سورة هود – الاية (3)
2- فتح القدير – الشوكاني – تحقيق عبدالرحمن عميرة – دار الوفاء للنشر – ج5 – صـ 601
3- مفاتيح الغيب – الفخر الرازي-الناشر: دار الفكر – الطبعة الأولي 1981م ج11 – صـ189
4- سورة هود – الاية (2)
5- المحور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – ابن عطية الأندلسي – تحقيق عبد السلام عبد الشافي – الناشر : دار الكتب العلمية :بيروت – الطبعة الأولي 1422هـ ج3 صـ 149
6- سورة هود : الآية(44)

وتعتبر هذه الآية نموذجاً رائعاً للترتيب ومثالاً بارعاً للتقديم والتأخيـر، وبالنظر الى ترتيب الجمل فنجد أنه قدم النداء على الأمر في قوله : (**يَا أَرْضُ ابْلَعِي**) , (**ويا سَمَاء أَقْلِعِي**) جرياً على مقتضى اللازم فيما كان مأموراً حقيقة ، وقدم أمر الأرض السماء لإبتداء الطوفان منها ، ثم أتبعه بقوله : (**وَغِيضَ الْمَاء**) لإتصاله بقصة الماء ، ألا ترى أن أصل الكلام : قيل يا أرض ابلعي ماءك فبلعت ماءها، وياسماء أقلعي عن إرسال الماء فأقلعت عن إرساله ، وغيض الماء النازل من السماء ففاض ثم أتبعه ماهو مقصود من القصة وهو قوله : (**وَقُضِيَ الأَمْرُ**) أي أُنجز الموعد بإهلاك الكفر ، ونجاة نوح ومن معه في السفينة (2).

ومن التقديم أيضاً تقديم قوله تعالي : (الى الله) على (مرجعكم) في قوله تعالى : (إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(3)والتقديم هنا للإختصاص (4) وهذا هو رأي أكثر علماء البيان ، لأن المفعول إذا تقدم لزم الإختصاص (5) .

ومثال ذلك قوله تعالى : (وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (6)قدم الجار والمجرور للدلالة على الإختصاص ، وذلك لإن التوكل لايكون إلا على الله وحده والإنابة ليست إلا إليه وحـده (7),

---

1- إعراب القرآن وبيانه – محي الدين الدرويش – دار اليمامة بيروت – الطبعة الرابعة 1415هـ - ج10 – صـ 473
2- مفتاح العلوم –السكاكي-تحقيق :نعيم زرزور-دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولي1983م - صـ 421
3- سورة هود – الآية (4)
4- التعبير القرآني- محمد إبراهيم المطعني- مكتبة وهبة القاهرة – الطبعة الأولى1992م – صـ 15
5- الطراز المتضمن لإسرلر البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – يحي بن حمزة علي بن إبراهيم العلوي اليمني – مرجعة وضبط : محمد عبدالسلام شاهين –دار الكتب العلمية : بيروت- الطبعة الأولى 1995م – صـ 234
6- سورة هود – الآية (88)
7- المثل السائر – إبن الأثير- تحقيق: احمد الحوفي –دار الرفاعي- الطبعة الثانية 1983م – ج2 – صـ 218

ويري ابن الإثير أن هذا ومثله من تقديم الظرف لايكون للإختصاص ، وإنما قدمت لمراعاة الحسن في نظم الكلام (1).

أما صاحب الطراز فأورد في الآية الكريمة (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) قوله : فهذا وأمثاله إنما قدم ليس من جهة الإختصاص ، وإنما قدم من أجل المطابقة اللفظية في تناسب الآية وتشاكلها (2) ومثاله قوله تعالى : (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ) قدم "إليه" علي الفعل "يرجع" لقصد الإختصاص .

أما التقديم في قوله تعالى : (وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) فإنه يفيد التخصيص ويورد السكاكي في هذه الآية قوله : أي العزيز علينا رهطك ياشعيب لا أنت لكونهم من أهل ديننا ، ولذلك قال الله تعالى في جوابهم : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ) (3) أي من نبي الله .

ويرى الزمخشري أن الآية بمعني لاتعز علينا ولا تكرم حتي نكرمك من القتل ، ونرفعك عن الرجم ، وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا ، ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا ، ويعلل الزمخشري ذلك تعليلا بارعاً قائلاً :إن تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله ، فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله (4) . ومن التقديم قوله تعالى : (وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ)(5). حيث قدم الظرف إشارة إلى شدة إقبالهم على الهزء به حتي كأنهم لايهزأون بغيره (6).

1- الطراز – يحي بن حمزة – تحقيق عبدالسلام شاهين - صـ 232
2- المرجع السابق – صـ 236
3- سورة هود – الآيات () (91) (92)
4- الكشاف عن حقائق التنزيل وبديع الأقاويل في وجوه التأويل - الزمخشري – دار الفكر بيروت - ج2 صـ 289
5- سورة هود – الآية (8)
6- نظم الدر في تناسب الآيات والسور – الإمام برهان الدين البقاعي – الطبعة الأولى1995م – دارالكتب العلمية بيروت – ج3 صـ 507

يري الزركشي أن من أنواع التقديم والتأخيـر التنقل من الأعلى إلى الأدنى كقوله تعالى في سورة آل عمران (شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) ومثله في سورة هود تقديم (أنت) على (قومك) في قوله تعالى : (تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِين49 (1)فقد قدم الرسول صلي الله عليه وسلم على قومه لكونه الأعلي منزلة ، والأشرف مكانة ، ويرى الزركشي كذلك أن من مقتضيات التقديم الشرف ومنها شرف الإدراك كتقديم السمع علي البصر لأن السمع أشرف (2) ومن هذا التقيم في سورة هود قوله تعالي : (أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاء يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ)(3).

من العلماء من يرى أن السمع أفضل من البصر ففاقد البصر يستطيع أن يفهم ويعي مقاصد الرسالة غير أن فاقد السمع لايمكن تبليغه بسهولة (4).

وقد تقدم البصر على السمع في آيتين فقط في القرآن الكريم الأولى في سورة الكهف قوله تعالي : (قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع) (5) قدم فيها البصر على السمع لأن الكلام عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم لئلا يراهم أحد ، ولجأوا إلى ظلمة الكهف ، كذلك طلبهم من صاحبهم أن يتلطف حتي لايراه أحد ، فنلاحظ أن مسألة البصر هنا أهم من السمع فتقدم البصر علي السمع كما أسلفنا . والآية الثانية قوله تعالى في سورة السجدة : (ربنا أبصـرنا وسمعنا)(6) تقدم البصر على السمع هنا لأن الكلام عن المجرمين الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة وأحوالها ولا يبصرون وما يسمعونه يدخل في مجال الشك والظن ، ولوتيقنوا لآمنوا أما في ألاخرة فقد أبصروا ماكانوا يسمعون لأنهم أصبحوا في مجال اليقين وهو ميدان البصر ، والآخرة ميدان الرؤية وليست ميدان السمع .

1- سورة هود – الآية (49)
2- البرهان في علوم القرآن – الزركشي – تحقيق : محمد عبدالقادر عطا –دار الفكر بيروت – الطبعة الأولى1988م – ج3 - صـ296
3- سورة هود – الآية (20)
4- التعبير القرآني- محمد إبراهيم المطعني – صـ 55
5- سورة الكهف – الآية (26)
6- سورة السجدة – الآية (12)

أما ابن عطية فيورد في تقديم السمع علي البصر قوله : "قدم السمع في هذه الآية علي البصر ، لأن حاسنه أشرف وهو كافٍ لإدراك معظم المدركات دون البصر "(1).

ومن مقتضيات التقديم والتأخيــر الشرف بالفضيلة ومنه قوله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) وقوله تعالى : (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) وقوله تعالي: (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِين(3) وإذا تتبعنا ألايات السابقة فإننا نجد تقديم "هود" و"صــالح" و "وشعيب" علي قوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ) لما يقتضيه أمر الشرف بالفضيلة لأنهم أنبياء الله وصفوته من خلقه .

ومن التقديم للشرف بالفضيلة تقديم "السماوات" علي " الأرض" في قوله تعالي: (وَهُوَ الَّذِي خَلَق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء)وقوله تعالى : (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيد) وقوله تعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ) وقوله تعالى : (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)(4) تقديم السماوات على الأرض هو الأصل الوارد في سياقات القرآن وهو لحكمة يقتضيها السياق ، ويتطلبها المقام ، ولا شك أن ما غاب عن إدراكنا في السماء أكبر وأشمل من الذي غاب عنا في الأرض ، كما أن تقديم السماء فيه تنبيهاً على عظم قدرته سبحانه وتعالي لأن خلقها أكبر من خلق الأرض (5).

1- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – ابن عطية الأندلسي- تحقيق: عبد السلام عبد الشافي – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولي1993م – ج3 – صـ 161
2- سورة هود – الآيات (58–66 – 94)
3- سورة هود – الاية (7)
4- سورة هود – الآيات (107-108 - 123)
5- خصائص التراكيب – محمد أبو موسي – الطبعة الرابعة1996م – مكتبة وهبة القاهرة

وقد يكون التقديم بحسب الرتبة كما نجده في تقديم "المغفرة" على "الرحمة" في قوله تعالى : (وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)(1)قال السامرائي وسبب تقديم "الغفور" على "الرحيم" إن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة ، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة (2).

ومن التقديم أيضاً تقديم "الجن" على " الإنس" في قوله تعالى : (إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (3) جاء تقديم "الجن" على "الإنس" من قبل الحق عز وجل لأنهم أصل الشــر (4).

وقد تحدث القرآن الكريم عن في آيات كثيرة عن الجن والإنس ، ولكن الذي يلفت الإنتباه هنا مانجده في النظم القرآني البديع من تقديم الجن تارة وتقديم الإنس تارة أخرى , وذلك حسب السياق ، ففي سياق التحدي بالقرآن يقدم الإنس على الجن لأن الإنس هم المقصودون بالتحدي أولاً وقبل كل شيئ ، أما في حالة التحدي بالنفوذ يقدم الجن على الإنس لأن الجن أقدر على الحركة من الإنس ، أما قوله تعالى : (وما خلقت الجنَ والإنس إلا ليعبدون)(5) قدم الجن على الإنس هنا مراعاة للسبق الزمني لأن الجن مخلوقون قبل الإنس (6) .

1. ومن أنواع التقديم ما يكون للسبق بالزمان ، ويتمثل هذا النوع في قوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ)(7) تقدم إسحاق على يعقوب عيهما السلام لأن إسحاق هو والد يعقوب فبالتالي سابق له في الزمان وهذا ما يؤكده الحديث الذي تناوله معظم العلماء .

1- سورة هود – الآية (41)
2- التعبير القرآني – صـ 57
3- سورة هود – ألاية (119)
4- نظم الدر – برهان الدين البقاعي –- ج3 – صـ 590
5- سورة الذاريات – الآية (56)
6- إعجاز القرآن – فضل حسن عباس- دار الفرقان للنشر: عمان 1991م – صـ 223
7- سورة هود – الآية (71)

ومن الترتيب للسبق الزماني ترتيب أقوام الأنبياء كما في قوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ)(1) فذكر أقوام الأنبياء في الآية السابقة مرتبة حسب السبق الزمني , بدأ بقوم نوح ، يليهم قوم هود ، يليهم قوم صالح ، وأخيراً قوم لوط ، ويسمي صاحب الطراز هذا النوع من التقديم التقديم بالزمان (2)

ومن التقديم أيضاً تقديم "شقي" على "سعيد" في قوله تعالى : (يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ)(3) يرى الشوكاني أن علة تقديم الشقي علي السعيد أن المقام مقام تحذير (4) .

ويرى الذركشي أن تقديم الشقي على السعيد من باب الغلبة والكثرة (5)

ويري ابن قيم الجوزية أنه تم تقديم الشقي على السعيد لأن المراد بهذا هو التخويف (6) .ومن نماذج التقديم تقديم أهل النار على أهل الجنة في قول تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ* وأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ)(7)

ويورد ابن الأثير في هذا التقديم قوله : "قدم أهل النار على أهل الجنة في الذكر لأن الكلام كان مسبوقاً بذكر التخويف والتحذير، وجاء عقب قصص الأولين، وما فعل الله بهم من التعذيب والتدمير ، كان الأليق أن يوصل الكلام بما يناسبه في المعني وهو ذكر أهل النار ، ومن أجل ذلك قدموا في الذكر على أهل الجنة "(8)

1- سورة هود – الآية (89)
2- الطراز – يحي بن حمزة – تحقيق : عبد السلام شاهين صـ 231
3- سورة هود – الآية (105)
4- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية – الشوكاني – دار المعرفة للطباعة بيروت – الطبعة الثانية1997م – ج12 – صـ 655
5- البرهان في علوم القرآن – الزركشي – تحقيق : محمد عبدالقادر عطا – ج2 – صـ225
6- الفوائد المشوق الي علوم القرآن وعلم البيان – ابن قيم الجوزية – تحقيق : محمد عثمان الخشت –مطبعة القرآن للنشر – الطبعة الثانية1377هـ – صـ95
7- سورة هود – الآيات (107 -108)
8- المثل السائر – ابن الأثير – تحقبق : أحمد الحوفي - ج2 – صـ 225

تناول كثير من العلماء تقديم قوله تعالى : "فضحكت" على قوله "فبشرناها" في قوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعقوب)(1) قيل إن أصله فبشرناها بإسحاق فضحكت ، وقيل ضحكت بمعني حاضت بعد الكبر عند البشرى فعادت إلى عادات النساء من الحيض والحمل والولادة (2) ومن نماذج التقديم والتأخيرفي سورة أيضاً تقديم الجار والمجرور "عن إبراهيم" عن الفاعل "الروع" في قوله تعالى : (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى)(3) والعلة في تقديم الفاعل علي علي الجار والمجرور لأنه مصب الفائدة ، فإن بتأخير ما حقه التقديم تتوق النفس الى وروده فيتمكن فيها عند وروده خير تمكين .

ومن التقديم أيضاً قوله تعالى : (لَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ) (4) نجد أنه أخر قوله : "وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً" علي قوله : (جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا) فإمطار الحجارة قبل جعل الأعالي أسافل , فقدمه وأخر الإمطار .

ومن نماذج التقديم والترتيب البديع قوله تعالى علي لسان شعيب : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب * وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ * وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) (5)أورد الرازي في هذه الآية الكريمة قوله : "واعلم أن هذا الترتيب الذي جاء علي لسان شعيب عليه السلام في هذه الوجوه الخمسة ترتيب لطيف ، لأنه بين أول ظهور البينة له، وإظهار إنعام الله عليه في الظاهر والباطن يمنعه عن الخيانة في وحي الله تعالى ، ويصده عن التهاون في تكاليفه ، ثم بيَن أنه مواظب على العمل بهذا الدعوة ، ولو كانت هذه الدعوة باطلة لما أشتغل هو بها ، ثم لما بين صحة طريقه أشار إلى نفي المعارض وقال ينبغي الآيحملكم الى مذهب ودين تقعون بسببه في العذاب الشديد من الله تعالى كما وقع فيه أقوام الأنبياء المتقدمين" (6)

1- سورة هود – الآية (71)
2- البرهان في علوم القرآن- الزركشي- تحقيق: محمد عبدالقادر العطا - ج3 صـ - 304
3- سورة هود الآية (74)
4- سورة هود – الآية (82)
5- سورة هود – الآيات (88 – 89 - 90)
6- تفسير الفخر الرازي – دار الفكر للطباعة والنشر : بيروت – الطبعة الأولى1981م – ج11 – صـ49

المبحـث الثــاني

الذكـــــــــر والحـــذف

الحذف من الظواهر البلاغية الأساسية وقد اهتم به النقاد والبلاغيون اهتماماً كبيراً ، وتوسعوا في الكشف عن فائدته وأسبابه وأدلته كما استطردوا في الحديث عن شروطه وأقسامه .

أما مصطلح الحذف فيكاد يتفق معظم العلماء حول مفردات متشابهة للتعريف ، ويربط كثير منهم الحذف بالإيجاز .

وقد اهتم علماء البلاغة والباحثون في إعجاز القرآن بدراسة ظاهرة الحذف في القرآن الكريم ، وتوصيل ذلك للمخاطبين الذين تختلف قدراتهم وتتباين أمكانيتهم ، وذلك لأننا نجد في كتاب الله مايمكن فهمه بسهوله لكل المخاطبين ، ونجد بعضه يحتاج الى ذكاء متوسط أو فوق المتوسط ، فيشرح العلماء مافهموه من كتاب الله ويقدموه لسائر الناس بما يفهمونه من بيان (1)

وقد استطرد السيوطي في ذكر أسباب الحذف ومنها :-

"الإختصار ، والتفخيـم ، والتخفيف ، و صيانة اللسان ، وقصد العموم ، وقصد البيان بعد الإبهام ، ومراعاة الفاصلة " (2) .

ومن أسباب الحذف أنه لايصلح إلا به ومنه قوله تعالى : (فعَّال لما يريد) (3)

وإذا قلَّبنا صفحات سورة هود عليه السلام وتتبعنا مفرداتها فإننا نجد أمثلة متعدة للحذف ، تشعرنا بفخامة التعبير القرآني وعلوه ، ونلمح من خلالها غاية الفن والجمال ، ونلتمس فيها الروعة والبهاء .

ومن أقسام الحذف الإقطاع ، ويسمي الاكتفاء أو الضمير أو التمثيل ويقصد به أن يسند الفعل لشيئين هو في الحقيقة لإحدهما ، فيضمر للآخر فعل يناسبه .

ومن أمثلة الإقطاع قوله تعالى (وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)(4) والتقدير :إن كنتم صادقين ادعوا من إستطعتم .

1- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها – ج3 صـ 115
2- البرهان في علوم القرآن – الزركشي - تحقيق:محمد عبدالقادر العطا – ج3 – صـ 140
3- سورة البروج – الآية (16)
4- سورة هود – الآية (13)

ومن أنواع الحذف الحذف المقابلي والمقصود به أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه ومثاله قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ) (1)

والأصل إن إفتريته فعلي إجرامي وأنتم براء منه وأنا بريئ مما تجرمون فنسبة قوله تعالى : "فعلى إجرامي" إلى قوله : "وعليكم إجرامكم" كنسبة قوله "وأنتم براء منه" الي قوله تعالي : "وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ " واكتفى بكل متناسبين بأحدهما(2)

أما الإمام القرطبي فيرى أن قوله تعالى : "فَعَلَيَّ إِجْرَامِي " فيه مجاز بالحذف والمقصود عقاب إجرامي ، وإن كنت محق فيما أقول فعليكم عقاب تكذيبي (3) ويسميه السيوطي الاحتباك ، ويرى أنه من أطلف الأنواع وأبدعها ، وقل من تنبه له، أو نبه عليه من أهل فن البلاغة (4)

ومن الحذف الاختزال وهو الافتعال من خزله قطع وسطه ثم نقل في الإصطلاح الى حذف كلمة او أكثر وهي إما حرف أو اسم أو فعل (5).

أنواع الحذف :

حذف حرف ، وحذف كلمة ، وحذف جملة ، و حذف أكثر من جملة

- حذف الأسماء من نوع حذف الكلمة ونبدأ قولنا فيه أولاً : بـ
- **حذف الفاعل** : ومما يحذف له الفاعل التعظيم ومثال ذلك قوله تعالى : "وغيض الماء" و "وقضي الأمر" مجيئ إخباره علي الفعل المبني للمجهول للدلالة علي الجلالة والكبرياء وأن هذه الأمور العظام لاتكون إلا بفعل فاعل قادروتكوين مكون قاهر (6) أما قوله تعالى : (يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ)(7)

1- سورة هود – الآية (35)
2- البرهان في علوم القرآن – الزركشي – تحقيق: محمد عبد القادر العطا – ج3 – صـ 145
3- الجامع لأحكام القرآن-القرطبي – تحقيق: محمد ابراهيم الحفناوي – دار الحديث للطباعة والنشر القاهرة – الطبعة الثانية 1996م – ج9 – صـ 32
4- الإتقان في علوم القرآن - السيوطي– ج2 – صـ 183
5- البرهان في علوم القرآن- مرجع سابق – ج3 – صـ150
6- الكشاف – الزمخشري - ج3 – صـ 272
7- سورة هود – الآية (105)

فقد تعددت الآراء حول فاعل "يأتِ" وفاعل يأتِ يعود علي ذلك اليوم المقدم ذكره ، لاضمير المضاف إلى يأتِ ، واختار الزمخشري أن يكون فاعل يأتِ هو الله عز وجل ، لأن ضمير بإذنه يعود عليه وهو قول وجيه ، ولكن الأول أقرب الى سياق الكلام (1).

ويري الفخر الرازي أن المراد منه يوم يأتِ الشيئ المهيب الهائل المستعظم فحذف الله ذكره ليكون أقوي في التخويف (2).

ومن المعلوم أن الحذف يكون إذا دلت عليه دلالة ، وإذا تتبعنا مواضع حذف الفاعل فإننا نجد أنه يحذف في ثلاثة (3) مواضع منها :

إذا بني الفعل للمجهول وبناء الفعل للمجهول له أسباب منها تعظيم الفاعل كقوله تعالى : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِين)(4)

الشاهد في الآية إنه لم يصرح بفاعل "غيض وقضي وقيل" والسؤال الذي يطرح هنا لِمَ لَمْ يصرح بالفاعل في الآية الكريمة ؟ والجواب علي ذلك: أنه لم يصرح بفاعل "غيض ، وقضي ، وقيل " كما لم يصرح في صدر الآية بقائل قيل تنبيهاً على أن هذه الإمور العظام لايتصور وقوعها إلا من قادر لايكتنه وقهَّار لايغالب ، لايذهب الوهم إلى فاعل إلى غيره ولا ينشط الخيال الى مدي أبعد من هذا المدى ، وقيل في وجه العدول عن تصريح الفاعل إشارة إلى أن هذه الأمور أهون عند الله من أن ينسبها إلى قدرته صراحة (5).

ويرى ابن عطية أن بناء الفعل للمجهول أبلغ في التعظيم والجبروت (6)

1- إعراب القرآن الكريم وبيانه – الدرويش – ج12 صـ 483
2- تفسير الفخر الرازي - ج11 –صـ50
3- الطراز- يحي بن حمزة – تحقيق : عبدالسلام شاهين صـ 251
4- سورة هود – الآية (44)
5- إعراب القرآن الكريم وبيانه – مرجع سابق – ج12 – صـ 436
6- المحرر الوجيز –ابن عطية الأندلسي – تحقيق عبدالسلام عبد الشافي – ج3 – صـ 175

ثانياً : **حـذف المفعــول**

من أنواع حذف الأسماء حذف المفعول به ، ويعد حذفه حسب وجهة نظر بعض العلماء إن فيه من اللطائف مايفوق غيره وهذا ماذهب إليه الجرجاني قائلاً : "المفعول به إذا حذف خصوصاً فإن الحاجة إليه أمس ، وهو بما نحن بصدده أخص، واللطائف فيه أكثر ، ومما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر"(1) .

ويتمثل حذف المفعول في سورة هود عليه السلام في قوله تعالى : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ)(2) .

نجد هنا في هذه الاية أن مفعول "أرأيتم" محذوف وتقديره أرأيتم البينة من ربي إن كنت عليها أنلزمكموها ، فهذه الجملة الإستفهامية في موضع المفعول الثاني لقوله "أرأيتم" (3).

ومن حذف المفعول كذلك قوله تعالى : (قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ)(4) الحذف في هذه الآية علي ضمير المفعول وهو في قوله رحم والأصل رحمة حذف تخفيفاً لطول الكلام بالصفة ، ولو لا إرادة المفعول وهو - الضمير – لخلت من ضمير يعود علي الموصول وذلك لايجوز وكان في حكم المنطوق به ، فالدلالة عليه من وجهين ، من وجه اقتضاء الفعل له ، واقتضاء الصلة (5).

ومن حذف المفعول كذلك قوله تعالى : (إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ)(6)والتقدير في هذه الآية أني أشهد الله أني بريئ ، وأشهد أني بريئ ، فحذف المفعلول الأول على قرار ضربت وضربني زيد .

1- دلائل الإعجاز – تحقيق محمود شاكر – صـ 153
2- سورة هود – الآية (28)
3- البحر المحيط – ابن حيان الأندلسي – دار الفكر بيروت – الطبعة الثانية 1987م – ج5 – صـ 216
4- سورة هود – الآية (43)
5- الطراز –يحي بن حمزة – تحقيق : عبد االسلام عبد الشافي - صـ 247
6- سورة هود – الآية 54

ثالثاً : حذف المبتـدأ

هناك مواضع يحسن فيه حذف المبتدأ ومواضع يحسن فيها حذف الخبر ، ومواضع يحسن فيها حذف المبتدأ والخبر معاً (1).

يقول الجرجاني عن حذف المبتدأ : "وإذ قد عرفت من حال الحذف في المبتدأ فأعلم أن ذلك سبيله في كل شيئ فما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه وحذف في الحال التي ينبغي أن يحذف فيها إلا أنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره"(2) وإذا تتبعنا حذف المبتدأ في القرآن الكريم نجد أمثلة لا حصر لها ولا يتسع المجال لذكرها ، أما في سورة هود فإننا نجد حذف المبتدأ بداً بالآية الأولى من السورة في قوله تعالى : (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)(3) كتابٌ خبر لمبتدأ محذوف و "أحكمت" صفة له والتقدير هذا كتاب

ومن حذف المبتدأ كذلك حذف مبتدا الخبر سلام في قوله تعالى : (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ)(4) سلام خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمري وأمركم سلام ، أو مبتدأ محذوف الخبر أي "عليكم السلام" ويرى الرازي أنه يحسن الحذف إذا كان المقصود معلوماً بعد الحذف وههنا المقصود معلوماً فلا جرم من الحذف (5).

ومن المواضع التي يحذف فيها المبتدأ بعد "نعم وبئس " ويتمثل ذلك في قوله تعالي : (بئس الور المورود) فالمبتدأ محذوف وجوباً والتقدير هو المورود وأيضاً كذلك الحال في "بئس الرفد المرفود" فالمبتدأ هنا هو أيضاً محذوف والتقدير هو المرفود يرى بعض العلماء أن فاعل بئس الورد والمورود نعت له والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس الورد النار , ويجوز أن يكون المورود هو المخصوص بالذم(6) ، وعلى هذا القول يكون "المورود" و "المرفود" خبرين والمبتدأ محذوف وجوباً والتقدير هو المورود في الآية الأولى والمرفود في الآية الثانية

1- الطراز –يحي بن حمزة – تحقيق : عبدالسلام عبد الشافي - صـ 258
2- دلائل الإعجاز – تحقيق محمود شاكر – صـ 153
3- سورة هود – الآية (1)
4- سورة – الآية (69)
5- تفسير الفخر الرازي – ج12 – صـ 24
6- شرح ابن عقيل – تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد- مكتبة دار التراث القاهرة – الطبعة العشرون 1980م – ج3 – صـ 167

رابعـاً : حذف الخبــر

من المواضع التي حذف فيها الخبر في سورة هود عليه السلام قوله تعالى : (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ)(1) سلام مبتــدأ محذوف الخبر ، وتقدير الخبر عليكم سلام

ومن حذف الخبر كذلك حذف خبر "لولا" في قوله تعالى : (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)(2) من المعلوم أن لولا يكون الخبر بعدها محذوف وجوباً (3) ويقدر النحاة الخبر المحذوف بـ "موجود" أو "حاصل" فلولا حرف إمتناع لوجود و "رهطك" مبتدأ لخبر محذوف

ومثال الخبر المحذوف بعد لولا أيضــاً قوله تعالى : (وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ)(4)

خبر لولا في هذه الآية محذوف ، والتقديـر لولا كلمة موجوده

ومن حذف الخبر أيضاً قوله تعالى : (فمنهم شقيئ وسعيد)

اي ومنهم سعيــد حذف الخبر الثاني لدلالة الأول عليه

1- سورة هود - الآية (69)
2- سورة هود – الآية (91)
3- إعراب القرآن الكريم وبيانه- محي الدين الدرويش – ج12 – صـ 475
4- سورة هود – الآية ()

خامســاً : حذف المضــاف

من المعلوم أن حذف المضاف أحد أنواع الإيجــاز بحذف المفردات والأسمــاء ومن حذف المضاف في سورة هود ، حذف مضاف "فضله" في قوله تعالى : (ويؤتي كل ذي فضل فضله) والمعني جزاء فضله لأن الفضل قد أوتيه (1)

ومن حذف المضاف أيضاً حذف أمة في قوله تعالى : (وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ)(2) في الآية حذف للمضاف والتقــدير الى مجئ أمة ليس فيها من يؤمن فيستحقوا الهــلاك (3).

ومن حذف المضاف كذلك قوله تعالى : (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ)(4)

التقدير لحذف المضاف في هذه الآية كمثل الأعمى ، وكمثل البصير .

ومن حذف المضاف حذف مضاف إجرامي في قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ)(5) يري القرطبي أن قوله "فعلي إجرامي" فيه مجاز بالحذف ، والمقصود عقاب إجرامي ، وإن كنت محقاً فيما أقول فعليكم عقاب تكذيبي (6).

ومن المضاف ايضاً حذف مضاف "ربهم" في قوله تعالى : (لا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ)(7) أي كفروا بنعمة ربهم فكلمة "ربهم" حذف المضاف قبلها والتقدير كفروا نعمة ربهم .

1- إعراب القرآن المنسوب الي الزجاج – تحقيق: ابراهيم الأنباري – دار الكتاب اللبناني بيروت – الطبعة الثانية 1986م – 1 – صـ 90
2- سورة هود – الآية (8)
3- الجامع لإحكام القرآن – القرطبي -ج9 – صـ 3
4- سورة هود – الآية (24)
5- سورة هود – الآية(35)
6- الجامع لأحكام البيان-القرطبي – ج9 – صـ 32
7- سورة هود – الآية (60)

ومن حذف المضاف قوله تعالى في قصة شعيب : (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)(1) تقدير المضاف هنا فعل الإصلاح لأن الإستطاعة من شروط الفعل دون الإرادة (2)

ومن حذف المضاف أيضاً في هذه السورة حذف مضاف "القري" في قوله تعالى : (ذلك من أنباء القري نقصه عليك) والتقدير ذلك من أنباء أهل القرى ، وقد قيل هو علي حذف مضاف أي من أبناء أهل القري .

ومن حذف الضاف كذلك قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)(3) الحذف في قوله "وهي ظالمة" المعنى وأهلها ظالمون فحذف المضـاف .

سادساً : حذف المضـاف إليه

القرآن الكريم فيه نمازج متنوعة من حذف المضاف إليه يجيئ أكثرها من كلمات تلي " قبل ، وبعد ، وكل " وهذه الكلمات ملازمة للإضافة ، ومن حذف المضاف إليه بعد كل قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ...)(4) هنا نجد أن المضاف إليه المحذوف هو "شيئ" إذ تقدير الكلام من كل شيئ زوجين إثنين (5)

ومن حذف المضاف إليه مع المنادى المضاف قوله تعالي : (وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ)(6) في هذه الآية حذف المضاف إليه وهو ياء المتكلم المضاف إليها المنادى وهو "رب" والتقدير فقال ياربي (7).

1- سورة هود – الآية (88)
2- إعراب القرآن المنسوب للزجاج – تحقيق : إبراهي الأنباري – ج3 – صـ 167
3- سورة هود – الآية (102)
4- سورة هود – الآية (40)
5- الجامع لإحكام القرآن - القرطبي– ج9 – صـ 351
6- سورة هود – الآية (45)
7- الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز– مختار عطية – دار المعرفة الجامعية الإسكندرية1997م – صـ 351

ومن نماذج حذف المضاف إليه أيضاً في هذه السورة قوله تعالى : (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)(1) في هذه الآية تم حذف المضاف اليه بعد "قبل" والتقدير من قبل مجيئهم(2)

أما قوله تعالى : (وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)(3) نجد أن قوله "كـلاً" التنوين فيها عوض عن المضاف إليه ، وكأنه قيل وكل نبأ نقصه عليك ويجوز أن يكون المعني وكل اقتصاص نقصه عليك ، على معنى وكل نوع من أنواع الإقتصاص نقص عليك يعني كل الأساليب المختلفة (4).

ومن المعلوم أن كلٍ المنونة فيها من الإيجاز والإختصار ولكن الموقف في هذا الحذف وبخاصة مع "كلٍ" المنونة يُلمحُ فيه إيجازاً من ناحية أخرى وهي شمـول كل ما تتحدث عنه الآيات دون تكرار يمله السامع(5).

يرى العلماء أن حذف المضاف إليه يأتِي على القلة والندرة بخلاف المضاف والتفرقة بين المضاف نفسه ، والمضاف إليه في الحذف حيث كان حذف المضاف إليه على القلة والندرة بينما المضاف علي الكثرة والشيوع .

فالمضاف إليه يكتسب من المضاف إليه تعريفاً وتخصيصاً ، فحذفه لا محالة يخل بالكلام ، بخلاف المضاف فإنه لايخل حذفه بشيئ من جهة أن المضاف إليه يذهب بفائدته ويقوم مقامه .

1- سورة هود – الآية ()
2- إعراب القرآن المنسوب الي الزجاج – تحقيق إبراهيم الأنباري -ج2 – صـ351
3- سورة هود – الآية ()
4- الكشاف -الزمخشري– ج2 – صـ 299
5- الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز- مختار عطية – صـ 356

سادسا : حذف الموصوف

من أنواع الحذف كذلك حذف الموصوف وإقامة الصفة مكانه وهذا النوع من الحذف كير من في التزيل الحكيم ومثاله قوله تعالى : (وعندهم قاصرات الطرف عين)(1) اي حور قاصرات الطرف .

أما في سورة هود فيتمثل حذف الموصوف في قوله تعالى : (وما آمن معه إلا قليل)(2) والمعني هنا ما آمن معه إلا نفر قليل .

ومن المعلوم أن هذا النوع من الحذف كثير في كتاب الله تعالى ، أما حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها فلا يكاد يقع في الكلام إلا نادراً والعلة في ذلك يبينها صاحب كتاب الطراز بقوله : "والتفرقة بين الصفة والموصوف حيث يكون للموصوف أكثر من صفة ، والصفة تأتي من أجل إيضاح الموصوف وبيانه ، فلما كانت الصفة مختصة بالإيضاح والبيان ، كثر لاشك قيامها مقام المصوف بخلاف الموصوف فإنه يكثر إبهامه من غير ذكر الصفة ، خاصة وأن قيامه مقام الصفة قليلاً نادراً " (3).

سابعاً حذف الصفــة

هو أحد أنواع الحذف في الأسماء ، شأنه شأن الموصوف ، ويرد هذا النوع لأغراض عديدة وأكثر ما يرد للتفخيم والتعظيم في النكرات (4)

ومن حذف الصفة في القرآن الكريم قوله تعالى : (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)(5) وتقدير الصفة المحذوفة أي أطعمهم من جوع شديد، وآمنهم من خوف عظيم(6)

1- سورة الصافات – الاية (48)
2- سورة هود – الآية (40)
3- الطراز –يحي بن حمزة – تحقيق : عبد السلام عبد الشافي - -صـ 254
4- البرهان في علوم القرآن – الزركشي- تحقيق : محمد عبدالقادر عطا – ج3 – صـ 137
5- سورة قريش – الآية (4)
6- البرهان في علوم القرآن – مرجع سابق– ج3 صـ 179

أما في سورة هود فيتمثل حذف الصفة في قوله تعالى : (يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ)(1) الصفة الحذوفة هي "الناجين" إذ تقدير الكلام في هذه الآية أي إنه ليس من أهلك الناجين (2).

تعددت الأقوال حول هذه الآية إلا إن الذي نراه أقرب للصواب قول من قال : تأويل ليس من أهلك اي ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم لأنه كان لدينك مخالفاً وبي كافراً)(3) .

ويري الصابوني أن قوله تعالى : (فعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ)(4) فيه حذف لصفة وعد وتقدير الكلام وعد حق غير مكذوب فيه(5) .

وحذف الصفة قليل مقارنة بحذف الموصوف وهذا ما أورده العلوي قائلاً : وحذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها يكون على القلة ولا يكاد يقع في الكلام إلا نادراً (6).

سابعاً : حذف القـــول

في القرآن الكريم كثير من النمازج التي يتمثل فيها حذف القول هذا ما أورده الزركشي قائلاً :"وقد كثر حذف القول في القرآن العظيم حتى أنك تجده في الإضمار بمنزلة الإظهار" (7)

ومن حذف القول في سورة هود قوله تعالى : (وإن تولوا فقل إني أخاف عليكم عذاب يوم كبيــر) والتقدير فإن تولوا فقل لهم إني أخاف عليكم .

1- سورة هود – الآية (46)
2- معاني القرآن الكريم – ج3 – صـ 169
3- جامع البيان في تفسير القرآن – ج12 – صـ 32
4- سورة هود – الآية (65)
5- صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني – دار إحياء التراث العربي : بيروت : لبنان – الطبعة الرابعة 2004م – ج2 – صـ 22
6- الطراز – يحي بن حمزة – تحقيق عبدالسلام عبد الشافي - صـ254
7- البرهان في علوم القرآن- الزركشي – تحقيق: محمد إبراهيم عطا – ج3 – صـ 233

ومن حذف القول في سورة هود قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)(1) ودليل القول المحذوف كسر همزة إن في قوله "إني لكم نذير مبين" وتقدير الكلام فقال إني لكم نذير مبين .

وقد تحذف جملة تامة من السياق والمقصود بالجملة التامة التي لا يتم معني الكلام بدونها ، ومن هذا القبيل الجملة الواقعة بعد إذ المتصلة بلفظتي "حين ، ويوم" (2) ومن حذف الجملة التامة قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ)(3)

الجملة المحذوفة بعد إذ تقديرها "يوم إذ عذبهم ربهم" والحذف هنا أولى من الذكر لما فيه من بلاغة ، فالجملة المحذوفة بعد "إذ" يستدعيها السياق ويحتاج إليها ، ويكون في حذفها زيادة بلاغة وحسن إيجاز لايجتمعان مع ذكرها .

في الآية الكريمة السابقة جاءت "إذ" منونة تنوين عوض عن جملة محذوفة ، وقد أفادت مع حذفها لفت نظر القارئ إلى ما يحدث ، أو ما سوف يحدث بالإضافة إلى ما تحتوي عليه هذه الآية من إيجاز وإختصاص (4).

ثامناً : حذف الأجوبة

يتمثل حذف الأجوبة في مواطن كثيرة ، ويكثر في جواب "لو" في التنزيل الحكيم ، وحذف الأجوبة من محاسن الإيجاز ومواقفه البديعة ، ويجوِز النحويون حذف جواب الشرط إذ دل عليه دليل .

ومن مواطن حذف جواب "لو" في سورة هود قوله تعالى : (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ)(5) والمعنى لو أن لي بكم قوة لحلت بينكم وبين المعصية وقيل أن جواب "لو" محذوف تقديره لفعلت بكم وصنعت ، أو على تقدير بطشت بكم(6).

1- سورة هود - الآية (25)
2- الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز – مختار عطية – صـ 388
3- سورة هود – الآية (66)
4- الإيجاز في كلام العرب – مرجع سابق– صـ 389
5- سورة هود – الآية (80)
6- البرهان في علوم القرآن- الزركشي – تحقيق : محمد إبرايم عطا– ج3 – صـ 220

والسر في حذف جواب "لو" في المواضع السابقة أنها لما ربطت إحدى الجملتين بالإخرى صارا جملة واحدة ، فأوجب لها ذلك فضلاً وطولاً فخفف بالحذف

ومن حذف الأجوبة كذلك قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)(3) كنتم في الآية هي فعل الشرط ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فأتوا وادعوا .

ومن حذف الجواب أيضاً قوله تعالى : (أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى)(4) التقدير هنا أفمن كان علي بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس له في الآخرة إلا النار ، إلا أنه حذف الجواب لظهوره. أما قوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ)(5) الجواب هنا محذوف دل عليه ما قبله وتقديره فمن ينصرني .

ومن حذف الجواب أيضاً قوله تعالى : (قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)(6) قوله إن كنت من الصادقين شرط جوابه محذوف دل عليه ماقبله أي فأتنا .

ومن حذف الجواب أيضاً قوله تعالى : (فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُم)(7) في الآية الكريمة ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه علي توليهم ، والتقدير فلا ملام على لأنني قد أبلغتكم (8)

1- سورة هود – الآية (13)
2- سورة هود – الآية (17)
3- سورة هود – الآية (30)
4- سورة هود – الآية (32)
5- سورة هود –الآية (52)
6- الإيضاح – الخطيب القزويني – صـ269

ومن حذف الجواب أيضاً قوله تعالي: (بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين) إن شرطية و"كنتم" فعل الشرط والجواب محذوف أي فبقية الله خير (1) .

علي الرغم من أن العلماء استطردوا في الحديث عن الحذف إلا أن عبد القاهر الجرجاني أورد نهاية رائعة ونتيجة بديعة لاستخدام الحذف قائلاً : "فقد بان الآن وأتضح لمن نظر نظر الفصيح الراغب في اقتداح زناد العقل ، والازدياد في الفضل ومن شأنه أن يعرف الأشياء على حقائقها ، ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يجرى مع الظاهر ولا يعدوالذي يقع في أول الخاطر إن الذي قلت في شأن الحذف وتفخيم أمره والتنويه بذكره ، وإن مأخذه مأخذ يشبه السحر ويبهر الفكر "

1- إعراب القرآن الكريم وبيانه – محي الدين الدرويش– ج3 – صـ453

المبحث الثـــالث

الإيجـــــــــاز

يعد الإيجاز من الموضاعات المهمة في علم المعاني ، وقد عرَف بعض العلماء البلاغة بأنها الإيجاز .

والإيجاز : هو الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة (1) وهو نوعان :

أ- إيجاز قصر : وهو ألفاظ قليلة تؤدي معاني كثيرة من غير حذف مثل قوله تعالى : (ولكم في القصاص حياة)(2)فالجملة مكونة من كلمات قليلة وفيها من المعني الكثير ، فالقصاص هو قتل القاتل وفيه حياة للذي يريد أن يقتل لأنه يخاف من القصاص .

ب- إيجاز حذف : ويكون بحذف حرف أو حذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تدل على المحذوف نحو قوله تعالى : (وأسال القرية)(3)ففي هذه الجملة القرآنية إيجاز بالحذف ، فقد حذف أحد أجزاء الجملة وهو المضاف وإعرابه مفعول به وتقدير المحذوف واسأل أهل القرية .

وفي سورة هود يمكننا تصنيف الحذف الى ثلاثة أنواع :

- حذف حرف
- حذف كلمة
- حذف جملة فأكثرة

جاء **حذف الحرف** : في سورة هود في مواضع متعددة وسنتناول نوعين من الحروف أحدهما : الحرف الذي هو جزء من الكلمة وغالباً ما يكون في آخر كلمة المنادى ويسميه النحاة الترخيم .

وثانيمها : حذف حرف من حروف المعاني مثل : ياء النداء ولا النافية و واوالقسم ، وهذا النوع أولاه البلاغيون عناية أكثر من سابقه .

1- الحيوان للجاحظ – ج2 – صـ86
2- سورة البقرة – الآية (179)
3- سورة يوسف – الآية (82)

النوع الأول ورد منه في سورة هود قوله تعالى : (فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاء مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم) (1) حذف حرف النون في قوله "فلاتك" دلالة على القلة الضئيلة ، فهو نهي عن التعرض لأدني شك في بطلان عبادة المشركين(2) والنجاة يجعلون حذف النون تحقيقاً .

وفي مخاطبة الرسل لأقوامهم تكرر حذف الحرف الأخير من الكلمة كثيراً كما في قوله تعالى : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن ربي)(3) وقوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ)(4) نجد أن النداء بياء قوم علي لسان هود ونوح وصالح ، وفيه حذف لياء المتكلم في كلمة "ياقومي" وسره البلاغي إبراز فضيلة الإيجاز البياني لأنه استثمار أقل ما يمكن من الألفاظ للدلالة على أقل ما يمكن من المعاني .

ونجد حذف حرف النداء كذلك في قوله تعالى : (وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ)(5) وقد جاء حذف الياء مع "رب" في هذه الآية للمبالغة في تصوير قرب المنادي "رب" حيث معناه المربي والمالك والسيد ، ومن هو بهذه المعاني من شأنه أن يكون قريباً حاضراً لايحتاج في ندائه الى وسائط (6).

أيضاً قوله تعالى : (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) حيث حذف حرف النداء في قوله "أهل" إشعاراً بقربهم من الله عز وجل .

وقد يحذف الحرف الأخير من الأفعال مراعاة للفاصلة كما في قوله "أفلا تعقلون" "أفلاتذكرون" إذ الأصل فيها "أفلا تعقلوني" "أفلا تذكروني"

1- سورة هود – الآية (109)
2- الأساليب الإنشائية – صـ 93
3- 4- سورة هود الآيات (88- 29)
5 –سورة هود الآية (45)
6 – خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية- محمد إبراهيم المعطني –ج2 –421

حذف الكلمـــــة

تتجلى بلاغة حذف الكلمة في تنقيح الكلمات ، وثراء معانيها ، وقوة حبكتها وقد جاء حذفها في مواضع متعددة منها :

حذف الفاعل : يحذف عند بناء الفعل للمجهول كما في الآيات التالية :

قال تعالى : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (1) حذف الفاعل في قوله "قيل" "وغيض" للدلالة على أن القول حاصل على سبيل القطع والحسم والسرعة وكأنه حادث بنفسه ، لاسيما وأن الكلام صادر من المولى عز وجل ، ثم إن فيها إختصار للكلام مع العلم بالفاعل .

وقد يكون بناء الفعل للمجهول وحذف الفاعل لتحاشي ذكره وللعلم به كما في قوله تعالى : (وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ)(2)

حذف المبتدأ: من الملاحظ أن حذف المبتدأ ندر في سورة هود ومن المواضع التي ورد فيها قوله تعالى في مطلع سورة هود : (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (3) والتقدير هذا كتاب أحكمت آياته

حذف الخبر : من حذف الخبر في سورة هود قوله تعالى : (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)(4) إذ التقدير منهم أمم سنمتعهم ، فحذف الخبر لدلالة ماسبق عليه (5)

وقد يحذف الخبر لتحفيف الكلام مما يستغنى عنه لوضوح الدلالة عليه كقوله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) (6) اي سلام عليكم

1- سورة هود – الآية (44)
2- سورة هود – الآية (60)
3- سورة هود – الآية (1)
4- سورة هود _ الآية (48)
5- الحوار في القرآن الكريم-رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة – تقديم الباحث : محمد إبراهيم شادي – إشراف الدكتور محمد عبدالرحمن الكردي – صـ 38
6- سورة هود – الآية (69)

ومن حذف الخبر أيضاً قوله تعالى : (فمنهم شقيٌ وسعيد) أي ومنهم سعيد وقوله : (لهم فيها زفير وشهيق) وتقدير الكلام ولهم فيها شهيق ، فقد حذف المسند فيها لتخفيف الكلام مما يستغنى عنه لوضوح الدلالة .

أيضاً من حذف الخبر قوله تعالى : (ولولا رهطك لرجمناك) إذ تقدير الكلام لولا وجود رهطك لرجمناك .

حذف الفعل : نمثل له في سورة هود بقوله تعالى : (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ برحمة منا ومن خذي يومئذ)(1) اي ونجيناهم من خذي يومئذٍ ، ومنه ما تكرر في السورة مثل قوله تعالى : (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا) أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم هود عطفاً على قوله : "ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه".

حذف المفعـول: اهتم البلاغيون بحذف المفعول وأولوه عناية خاصة لم يولوها لغيــره من المحذوفات ، وقد لوحظ أن الفعل المتعدي يأتي من غير أن يكون له مفعول وله حينئذٍ دلالتان :

- أن يكون الغرض مجرد إثبات المعنى للفاعل من غير نظر الي شيئ وراء ذلك .
- أو يكون القصد هو الوقوف بالفعل المتعدي عند فاعله حجزاً عن التعدي إلى مفعول .

يأتي حذف المفعول للمبالغة التي تتنوع جهاتها ولعل هذا مما يكثر مجيئه في سياق الحديث عن ذات الله تعالي إثباتاً للصفات المقدسة .

كما يكثر حذف المفعول لإثبات الصفة في الفواصل القرآنية نحو قوله تعالى : " لقوم يعقلون ، يشكرون ، يذكرون يتقون ، " مبالغة في هذه الصفات وإطلاقاً لها من كل قيد .

يحذف المفعول به للتعميم كما في قوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) (3) جاء حذف المفعول في الآية السابقة في مقام التحذير لإدخال الرعب في قلوب المنذرين .

1- سورة هود – الآية (69)
2- سورة هود – الآية (93)

قد يحذف المفعول به لضيق المقام كقوله تعالى مما دار بين نوح وابنه : (يابني أركب معنا ولا تكن مع الكافرين) إذ تقدير الكلام أركب معنا السفينة ولا تكن مع الكافرين , حذف المفعول لتعينه ، ولضيق المقام لأن بين نجاة من نجا ، وهلالك من هلك لحظات خاطفة ، ولأن الحرص على المعية بالنص عليها أهم من تعيين المفعول في هذا المقام .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : (وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ)(1) أي تغفر لي ذنوبي

حذف الجــار والمجرور : قد يحذف الجار والمجرور إختصاراً لدلالة الكلام عليه كقوله تعالى علي لسان شعيب عليه الســلام : (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ)(2) أي عامل على مكانتي .

وقد يطوي الجار والمجرور في مقام دعوة الرسل لإقوامهم لتخفيف الكلام مما قد يسبق المجافاة ، أو لدلالة الكلام او لتكثيره كقوله تعالى : (بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)(3) اي مؤمنين بالله وبما أرسلت به إليكم .

حذف جواب الشرط : قد يحذف جواب الشرط لزيادة الحث والتأكيد والنصح كقوله تعالى حكاية عن شعيب : (بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) وتقدير الكلام بجواب الشرط المحذوف فبقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين .

كما نلحظ أن حذف جواب الشرط في قول نوح عليه السلام عندما يئس من قومه قد أدى حذف جواب الشرط دوراً في الإشعار بهذا اليأس وتأكيده كما في قوله تعالى : (وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(4) نجد في قوله شرطين يكاد يكون جوابهما واحد يدل عليه قوله قبلهما "ولا ينفعكم نصحي" ، وملاحظة المحذوف قد تؤدي إلى الإحساس بشيوع اللهجة اليائسة التي أتت بعد أن استنفد نوح عليه السلام كل محاولة ممكنة من سبل الترغيب والمحاورة والتحذير (5)

1- سورة هود – الآية (47)
2- سورة هود- الآية (93)
3- سورة هود – الآية (86)
4- سورة هود – الآية (34)
5- الحوار في القرآن الكريم- محمد إبراهيم شادي – صـ 48

يحذف المضاف كثيراً كنوع من التوسيع في اللغة ، وإيراد المعني في قليل من اللفظ ، وقد أشار العز بن عبد السلام في كتابه إلى الآيات التي حذف فيها المضاف في سورة هود (1) وحسبنا أن نشير إلى شيئ منها ونذكر سره البلاغي من ذلك قوله تعالي : (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ)(2) أي يعطي كل ذي فضل ثواب فضله ، وقوله تعالي : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء) (3) اي في مقدار ستة أيــام ، وقوله تعالى: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ) (4) أي الذين خسروا حظوظ أنفسهم من خير الآخرة ونعيمها .

هذه بعض الآيات التي حذف فيها المضاف ودليل الحذف واحد في كل وهو عدم صحة تعلق الحكم المستفاد من السياق بالمحذوف من اللفظ ، والذي يعنينا هو السر البلاغي في الحذف ، وهو إظهار المعني بصورة أتم وأبين وعلى وجه أقوي وأشمل(5)

1- الإشارة إلى الإعجاز في بعض أنواع المجاز – صـ 156
2- سورة هود – الآية (3)
3- سورة هود - الآية (8)
4- سورة هود – الآية (21)
5- خصائص التعبير في القرآن الكريم- محمد إبراهيم المطعني – صـ 454

الاطنـــــــــــناب

في اللغة : أطنب في الكلام بالغ فيه ، وأطنب في الوصف بالغ وأجتهد ، وأطنب في الكلام إذا بعد ، وأطنبت الإبل إذا تبع بعضها بعضاً في السير (1) .

وفي اصطلاح البلاغيين : هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة (2) ولهذا الفن أساسه النفسي من رغبة المتكلم في الإفاضة وفي هذا دلالة علي فكر غني وشعور ذاخر وحس متوقد في تصور المعنى .

وقد ورد الإطناب في سورة هود في عدة مواضع منها قوله تعالي : (وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ) (3) حيث لم يقل الظالمين وعدل عنه الي قوله "الذين ظلموا" .

وكذلك نلحظ البسط في قوله تعالى عن قوم صالح : (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)(4) حيث لم يكتفِ بقوله "وأخذ الذين ظلموا الصيحة" حتي أتبعه بالنتيجة الحاسمة بقوله "فأصبحوا في ديارهم جاثمين" لظلمهم وطغيانهم علي من سواهم .

كذلك نجد الإطناب في قوله تعالى عن شعيب عليه السلام : (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * ويا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (5) حيث لم يكتفي بالأمر "أعبدوا" حتى أعقبه بالنهي "ولانقصوا" , ثم أفاض في أمر إيفاء الكيل ، وأعقبه بنهي آخر "ولا تبخسوا الناس" ، ثم جاء النهي عموماً بقوله "ولا تعثوا في الأرض مفسدين" .

1- معجم المصطلحات البلاغية – أحمد مطلوب – ج1 – صـ 224
2- المثل السـائر – إبن الأثير – ج2 – صـ 128
3- سورة هود – الآية (113)
4- سورة هود – الآية (67)
5- سورة هود – الآيات (84 -85)

في خطاب النبي صلي الله عليه وسلم والمؤمنين يجيئ الإطناب كما نرى في قوله تعالى : (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(1) قوله ولا تطغوا جاء مؤكد بقوله فاستقم كما أمرت ، والإطناب أنواعه كثيرة منها :

- التزييل : وهو تعقيب الكلام بجملة تشتمل علي معناه للتوكيد ، سواء كان توكيد مفهوم أة توكيد منطوق ، وقد يكون هذا التعبير مستقلاً يجري مجري المثل وقد يربط بالكلام السابق فلا يفصل عنه (2).

وقد قال العسكري رحمه الله : "للتزييل في الكلام موقع جليل ومكان شريف لأن المعنى يزداد به إشراقاً والمقصد إتضاحاً " (3) . وقد جاء التزييل بأسماء الله الحسني وصفاته مؤكداً بإن في المواضع الآتية : (وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)(4) نجد فيه تعليلاً بأن الله وعد من آمن منهم بالنجاة وقد هيأ لهم هذه السفينة ليبقى نسبهم وذلك من غفرانه ورحمته ، وإن هنا تفيد توكيد التزييل وفيها تحقيق لأتباعه بأن الله رحمهم بأن أنجاهم من الغرق (5) .

وقد يكون التزييل بالأسماء والصفات المقدسة تأنيساً للمخاطبين وإستمالة لنفوسهم كما في قوله تعالى : (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ)(6) أيضاً قوله تعالى : (وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ)(7) في تزييل الآيتين تبشير للذين يستغفرون ربهم ويتوبون إليه ، فإن الله سبحانه يقبل التوبة من عباده التائبين يفتح أبواب عفوه ورحمته مودةً منه وإحساناً .

1- سورة هود – الآية (112)
2- الإيضـاح – الخطيب القزويني – صـ 200
3- الصناعتين – أبو هلال العسكري – صـ413
4- سورة هود – الاية (40)
5- التحرير والتنوير- ج12 – صـ 74
6- سورة هود – الآية (61)
7- سورة هود – الآية (90)

وقد نلحظ في التزييل معنى التهديد والوعيد كما في قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) (1) أكد بأن وضمير الفصل.

وقد يكون التزييل تأكيداً لما قبله كما في قوله تعالى : (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ)(2) نجد في قوله إخباراً بما سيقع وتوضيح لسبب الأمر بصناعة الفلك .

وفي قوله : (قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ)(3) جاء التزييل لتعليل الخبر الأول المتضمن أفضاله عليهم ورحمته وبركاته .

التذييـل والمثـل : لم يرد في سورة هود إلا في قوله تعالى : (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) تزييل لجملة إن موعدهم الصبح حيث يجرى ويرد في كل مقام مشابه .

- **التتـمـيم** : في اللغة تممه إذا أكمله ، وتمام الشيئ ما يكون تمام غايته .

وفي إصطـلاح البلاغيين : "أن يؤت في كلام لايوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة" (4) .

ومن التتميم في سورة هود قوله تعالى : (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (5) أي أنَّ كل ماتقدم ذكره مثبت في اللوح المحفوظ لمن ينظر إليه من الملائكة ، وهذا يدل على عموم علمه سبحانه وتعالى ، ومن امثلتة قوله تعالى : (وهو الذي خلق السماوات في ستة أيام) يقول الشهاب : خلق الأرض ومافيها للابتلاء ظاهر ، وأما خلق السماء فذكر تعميماً واستطراداً (5)

1- سورة هود – الآية (66)
2- سورة هود – الاية (37)
3- سورة هود – الآية (73)
4- الإيضـاح - القزويني – ج3 – صـ 235
5- حاشية الشهاب – ج5 – صـ73

- **التفصـــيل بعد الإجمال**

التفصيل علي قسمين ، متصل ومنفصل ، فالمتصل منه كل كلام وقع فيه أما ، فما قبل أما إجمال ، ومابعد أما تفصيل .

ومثل ذلك في سورة هود قوله تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ) (1) يقول ابن كمال باشا : "فمنهم شقيئ وجبت له النار , تفصيل لما فهم من قوله ـ لاتكلم نفس إلا بإذنه ـ بإنقسامهم إلى قسمين إجمالاً وتقديم الشقي على السعيد لأنه المفهوم أولاً في مرتبة الإجمال ، وقوله (فأما الذين شقوا ففي النار) شروع في تفصيل أحوال الصنفين" (2)

- **ذكر العام بعد الخــاص**

يؤتى به لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص .

قال الزركشي : وهذا أنكر بعض الناس وجوده وهذا ليس صحيحاً ومثل له بقوله تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي) والنسك هو العبادة وهو أعم من الصلاة .

ومما ورد في سورة هود قوله تعالى : (وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى)فالتوبة أعم من الاستغفار لأن التوبة هي الإقلاع عن عمل ذنب مع تصحيح العزم على عدم العودة ، والاستغفار طلب المغفرة علي أمر مضى وشبيه هذا قوله تعالى : (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ اليه) وقوله : (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا) (3)

1- سورة هود – الآيات (106- 107-108)
2- تفسير ابن كمال باشا – ج2 – صـ 314
3- سورة هود – الآيات (61 - 52)

- **الاحتــراس**

في اللغة : الاحتراس مصدر احترس ، يقال احترس منه تحرز ، واحترست منه بمعني تحفظت منه (1).

وفي اصطلاح البلاغيين : الاحتراس أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه . اي بما يدفع التوهم (2).

وهو نوع من الإطناب يحرص فيه المتكلم من معنى غير مقصود قد يسبق إلى وهم السامع , فيأت في حديثه بما يدفع هذا الإيهام ، ونجد هذا في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام : (قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ)(3) . جاء في قول نوح عليه السلام إن شــاء تأدباً مع الله كإ حتراس ، ولعل نوح عليه السلام كان يوقن بنزوله بهم فيكون التعليق بـ إن شاء منظوراً فيه الى كون العذاب معجـلاً أو مؤخـراً .

كذلك قوله تعالى : (وقيل بعداً للقوم الظالمين) فإنه سبحانه وتعالى لما أخبر بهلاك من هلك أعقبه بالدعاء علي الهالكين ووصفهم بالظلم لِيُعلم أن جميع من هلك كان مستحقاً للهلاك ، إحتراساً لمن يتوهم أن الهلاك بعمومه قد يشمل من لايستحق العذاب ، فلما دعا على الهالكين علم أن كل هالك مستحق للهلاك ، لأنه قد ثبت بالبرهان أنه عادل فلا يدعو إلا على من يستحق الدعاء .

ولو قيل ما السر في التعبير بالمصدر النائب عن فعله بدلاً عن المضارع المقرون بلام الأمر "ليبعد" الإجابة على ذلك أن التعبير بالمصدر أقوي من التعبير بالفعل ’ لأن المصدر يدل علي الحدث غير مقترن بزمان أي بعداً لهم في كل زمان ، أما فعل الأمر فيدل على الحدث في المستقبل فقط .

ومن الإحتراس أيضاً قوله تعالى : (إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)(4) فجاءت جملة "إلا الذين صبروا " إحتراساً من أن يسبق الوهم ماسبق من ثبوت الاتهام السابق وهو قوله تعالى : (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ * ولَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ)(5)

1- لسان العرب – ابن منظور – مادة حرس
2- الإيضاح – الخطيب القذويني – ج3 – صـ 231
3- سورة هود – الآية (33)
4- سورة هود – الآية (11)
5- سورة هود – الايات (9- 10)

فجاء الإستثناء من الإنسان إذ المراد به صنف غير الصنف السابق وهم المؤمنون بالله ، واختار وصف صبروا دون آمنوا لأن المراد هنا مقابلة حالهم بحال الكفـار في قوله "إنه ليؤس كفور" وفيه تنفير من الوقوع بما يماثل فصفات الكافرين ، فصات اليأس وكفر النعمة والفرح والفخر ليست من صفات الذين صبروا وهم المؤمنون (1).

وقد ورد الاحتراس علي لسان نوح عليه السلام في قوله : (وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الله) (2) حيث جاءت جملة إن أجري إلا علي الله احتراساً من أن يسبق الى الوهم أنه يريد أجراً منهم .

1- بديع القرآن – صـ 93
2- سورة هود – الئية (29)

المبحث الرابع

القصـــــــــر

يطلق لفظ القصـر عند أهل اللغة علي معاني كثيرة أقربها إلى ما نحن فيه "الحبس" ويراد به في اصطلاح البلاغيين "تخصيص شيئ بشيئ بطريق مخصوص" (1)

وموضوع القصـر يتصل اتصـالاً وثيقاً بموضوع التوكيد فمن المعلوم أن درجات الإنكار تتفاوت وتبعاً لذلك يتفاوت التوكيـد وتتعدد أدواته (2).

بيَن عبد القاهر الجرجاني عندما تكلم عن مقام القصر بالنفي والاستثناء فقال :"وأما الخبر بالنفي والاثبات نحو ماهذا إلا كذا وإن هو إلا كذا"(3) .

يكون القصر بالنفي والاستثناء ، فالنفي يكون بـ (إن ، وما ، ولا ، ولن ، وليس ، وهل ، ومن الإستفهاميتين) .

والاستثناء قد يكون بـ لا وغير وأخواتهما ، وسنتناول بعض أساليب القصر الواردة في سورة هود وتحليلها بناءاً على ما تقدم ذكره .

القصر بالنفي والإستثناء في حوار الأنبياء مع أقوامهم :

جاء هذا الاسلوب في مواطن كثيرة من سورة هود منها قوله تعالى : (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)(4) ففي جملة الرزق قد تداخل قصـران ، الأول بما وإلا والثاني الواقع بعد إلا علي الله رزقها بتقديم المسند على المسند عليه ، ولفظ الجلالة مقصور عليه في الاسلوبين ، تصريحاً في الثاني وبشيئ من التأويل في الأول .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالي : (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(5) وقد أفاد القصر الأول أن كل دابة في كل حالة من أحوالها تحت سيطرة المولى وقهره ، أما القصر الآخـر فإنه يدل علي أن السلطان والقهر لله وحـده لايتعداه لغيره ، وفيه منتهى الزجر لقوم بلغ بهم الغرور والإفتراء حتي قالوا : (وما نحن لك بمؤمنين ، إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) .

1- أسرار التركيب البلاغي – صـ77
2- أساليب القصر في القرآن الكريم – صباح دراز – صـ9
3- دلائل الإعجاز – تحقيق محمود شاكر – صـ332
4- سورة هود – الآية (6)
5- سورة هود – الآية (56)

ومما ورد في القصر بالنفي والإستثناء قوله تعالي :

(فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا) (1)فقولهم هذا يعكس اعتقاداً فاسداً عندهم وهو أن الرسول لايكون إلا ملكاً ، ولذا أنزلوا نوحاً عليه السلام منزلة من أدعى أنه ملك فردوا عليه بالنفي والاستثناء مؤكدين لبشريته ، وبانضمام القصر الثاني "وما نراك أتبعك الذين هم أرازلنا" تظهر محاولتهم لإثبات أنه غير جدير بالرسالة (2) وهو ما صرَّح به عنهم في قوله : (وما نرى عليكم من فضلٍ بل نظنكم كاذبين) وهذا القصر من قصر الصفة علي الموصوف قصراً إضافياً ومنه قوله تعالى علي لسان نوح عليه السلام : (لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) فهو من قصر الصفة على الموصوف وفيه رد علي ابن نوح وتصحيح لإعتقاده "سآوي إلى جبل يعصمني من الماء" يتضح من ذلك أن المعول في تحديد المنفي هو السياق والقرائن (3).

من القصر كذلك قوله تعالى : (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ)(4) نجد أنه قصر الصفة على الموصوف إذ الخطاب على الرجح أنه موجه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه أنزل ملتبساً بما لايعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق وأخبار غيبية لاسبيل لهم إليها .

وفي حوار نبي الله صالح مع قومه يجيئ القصر بالنفي والاستثناء من قصر الصفة في قوله : (فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ) ليكن إني عصيت بالمساهلة في تبليغ الرسالة ، وجاريتكم فيما تأتون وتذرون فلا تفيدونني غير تخسيري وإبطال عملي .

ومن أساليب القصر التي جاء فيها النفي والإستثناء بقصر الصفة علي الموصوف قوله تعالى في خطاب نوح عليه السلام : (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ)(5) قال أهل العلم إن قوله "من قد آمن" بمعنى استمر على الإيمان لأن للدوام حكم الثبوت ، ويري الزمخشري أن معناه وجد منه ماكان يتوقع منه إلا من قد إستعد للإيمان ، والاستثناء مفيد للقصر دال على إثبات الإيمان مستقبلاً ودوامه لمن إتصف به ، ونفيه عن غيرهم إذ لا أمل في دعوتهم (6)

1- سورة هود – الآية (27)
2- سورة هود عليه السلام دراسة لخصائص نظمها وأسرارها البلاغية – رسالة دكتوراة للطالب : دخيل الله بن محمد الصحفي – جامعة أم القرى 1993م – صـ 150
3- المرجع السابق – صـ 76
4- سورة هود الآية (14)
5- سورة هود – الاية (36)
6- الكشاف – الزمخشري – صـ 218

ومما ورد في القصر بطريق النفي والإستثناء من قصر الموصوف على الصفة قصراً حقيقياً قوله تعالى : (أؤلئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار) فقد قصرهم على النار لايتعدونها الى غيرها .

أما ما ورد بالنفي والإستثناء من قصر الموصوف على الصفة قصراً حقيقياً قوله تعالى : (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ)(1) فقوله إن أنتم إلا مفترون من قصر الموصوف "أنتم" على الصفة "مفترون" وهو من القصر الحقيقي ، فـ هود عليه السلام يحصرهم في هذه الصفة دزن غيرها لعنادهم وتجبرهم ورفضهم ، على أنه ليس في العبارة ما يثبت أن هناك زعماً خاصاً من المخاطبين ينافي مايثبته فيهم حيث جاء كلامه مبنياً علي ماصدر منهم (2) ، وأما صدر الآية فقد جاء بالنفي والاستثناء بـ ما حيث حملت الجملة الأولى أمراً بعبادة الله وحده "أعبدوا الله" وجاءت جملة القصر تعليلاً لهذا الحكم الخاص ولكم خبر مقدم ، وقدم الظرف للتخصيص أي مالكم في الوجود إله غير الله

أما قوله تعالى عن مشركي مكة : (ليقولن إن هذا إلا سحر مبين) هذا من قصر الموصوف على الصفة قصراً أي قصر القرآن على كونه سحر في زعمهم .

ومما ورد في النفي والاستثناء من قصر الموصوف على الصفة قصراً إضافياً قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : (وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى)(3) حيث قصر أجره على كونه على الله فهو من التأكيد مرة تلو الآخرى أو الدافع عليه أن يثبت لهم صدق قوله وإخلاصة بأن لايطلب منهم إجراً وبإسلوب القصر يبرهن على صدق ما يقول .

في قصة النبي هود عليه السلام نلحظ اجتماع أكثر من جملة قصرية فقد كان قومه في قمة الرفض وكان هود في قمة الحرص والنصح قال تعالى :

(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ * يا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * ... قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ)(3) حشد هذه الجمل القصرية في الآيات االسابقة يوضح مدي ما لقيه الأقوام من عنت أقوامهم ، كما إن فيها تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم .

1- سورة هود – الآية (50)
2- الحوار في القرآن الكريم- محمد إبراهيم المطعني _ صـ 76
3- سورة هود – الآيات (50 – 51 - 52)

القصــر بإنما في جــدال الأنبياء مع أقوامهم :

سبق لنا الحديث عن النفي والاستثناء ورأينا غزارة شواهده وذلك لأن النفي والإستثناء أنسب طرق القصر للمقامات التى يشتد فيها الإنكار والإعراض والحدة والجدل والعناد لهذا فهي مواقف تقتضي تأكيد المعني بالقصر والنفي والاستثناء ، أما إنما فيقلب إستعمالها في جانب الوداعة واللين ، وقد ورد منها فير سورة هود بض الشواهد منها قوله تعالى : (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ)(1)

فالمنفي هنا في القصر أنه لا يملك الآيات كناية عن وجوب إعراضه عنهم وإنصرافه إلى دعوته(2) ، فهو قصر قلب لغير المخاطب وفيه تعريض بالمشركين .

من ذلك أيضاً قوله تعالى : (إِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ)(3)

أي لا يعلم غيره وهو إثبات لما فيه من إعجاز سبب الزايا ونفي العلم يستلزم نفي القدرة أي لايستطيع أحد أن يأتي بمثله (4) .

وقد ورد القصر بأنما أيضاً في قوله تعالى : (إنما يأتيكم به الله إن شاء) رداً علي قومه عندما قالوا : (قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)(5) فهم يطلبون العذاب الذي ينذرهم به علي سبيل التحدي وقد فاتهم أنه من عندالله وبمقتضي إرادته وعلمه ولهذا جاءت جملة القصر تؤكد هذه الحقيقة ، واستعمل إنما خاصة للإشعار بأن مادخلت إليه ينبغي أن يكون معلوماً لأن نبي الله بشر مثلهم لايملك الثواب والعقاب ، ولكنه مبلغ فحسب فهو من قصر الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً (6)

---

1. سورة هود - الاية (12)
2. الكشاف - الزمخشري – ج2 – صـ 364
3. سورة هود – تلآية (14)
4. تفسير أبو السعود إرشاد العقل السليم الي مزايا الكتاب الكريم-دار الفكر للطباعة والنشر– ج2 – الآية (192)
5. سورة هود – الآية (32)
6. الحوار في القرآن الكريم – صـ 89

القصـــر بضمير الفصـــل

أفاد ضمير الفصل القصر في ثلاثة مواضع في سورة هود عليه السلام أولها قوله تعالى : (الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ)(1) برز ضمير الفصل هم للدلالة على أنهم خصوصاً كافرون ، وأن غيرهم مؤمنون ، والقصر هنا لتخصيص كفرهم بالآخرة والجزاء فإن عقيدتي التوحيد والمعاد هما أساس الدين فالكفر بهما لاينفعه إيمان بغيرها .

ويري أبو حيان أن الأساليب التي لم يعرف فيها الخبر التقديم فيها لمجرد الإهتمام ، والضمير لمجرد التأكيد (2).

أيضاً قوله تعالى : (لاجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرين) حيث برز ضمير الفصل هم للدلة على أنهم أشد خسراناً في الآخرة من غيرهم فهم قد بلغوا الحد الأقصى في الخسارة فكأنهم إنفردوا بها ، والقصر هنا قصر ادعائي (3).

أيضاً قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ)(4) في الآية قصر صفة على موصوف وقد جاء بضمير الفصل .

القصـــر بتعريف الطرفين

جاء القصر بتعريف الطرفين في قوله تعالى : (فلا تك في مرية منه إنه الحق) قصر موصوف على صفة قصر حقيقي .

القصر بتقديم ماحقه التأخير

ورد القصر بالتقديم في الآيات التالية :

فقد جاء قصر الصفة علي الموصوف قصر حقيقياً قوله تعالي : (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)(5) إذ التوكل مقصور على الله سبحانه لا يتعداه إلى غيره ، وكذلك الإنابة مقصورة عليه دون سواه إشارة الى تمسك شعيب عليه السلام بالله وحده ، وفيه تفويض الأمر لله سبحانه وتعالي .

1- سورة هود – الآية (19)
2- البحر المحيط- ابن حيان الأندلسي – ج3 – صـ 309
3- التحرير والتنوير – ج12 – صـ39
4- سورة هود – الآية (66)
5- سورة هود – الآية (88)

أيضاً ورد قصر الصفة على الموصوف قصراً إضافياً بالتقديم في قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب : (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)(1) فقوم شعيب ينفون أن يكون عزيزاً عليهم حتى يكون في مأمن من نيلهم وشرهم ، والمعنى هو إنما يعز علينا رهطك لا أنت لذا قال أرهطي أعز عليكم من الله .

وشبيه ذلك أيضاً قوله تعالى : (وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)(2) فنوح عليه السلام ينفي أن يصدر منه طرد للذين آمنوا خصوصاً وكأن هاؤلاء القوم يلوّحون بطرد من آمن معه "أنؤمن لك واتبعك الأرزلون " في التعبير بالقصرهذا إثبات أن ذلك يصدر منهم لتكبرهم وكفرهم وجهلهم .

ومن قصر الموصوف علي الصفة أيضاً قوله تعالي : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ)(3)حيث قصر الإجرام عليه لاعليهم وجاء القصر بطريق التقديم .

1- سورة هود – الآية (91)
2- سورة هود – الآية (29)
3- سورة هود – الآية (35)

المبحث الخـامس

الفصـــــل والوصـــــل

يعد الفصل والوصل من الموضوعات الشائكة في علم البلاغة لأنه يعتمد على العلائق بين الجمل ، والمواضع التي تقتضي الفصل أو الوصل ، وقد قال بعضهم إن البلاغة هي معرفة الفصل والوصـل .

فالوصل عطف جملة علي أخري والفصل تركه ، ولكل من الفصل والوصل مواضع خاصة .

من مواضع الفصل :

كمال الإتصال : وهو أن يكون بين الكلمتين إتحاد تام وامتزاج معنوي كأنهما أفرغا من قالب واحد ، فتنزل الثانية من الأولى منزلة التوكيد أو البيان أو البدل ، ومدار هذا العطف بالواو يقتضي التغاير .

التـــــوكيد : وهو قسمان لفظي ومعنوي

يتحقق المعنوي بكون الجملة الثانية بمنزلة التوكيد المعنوي من الأولى فتفيد التحقيق والتقرير مع الاختلاف في المعنى وهو مقيس على التوكيد المعنوي في المفردات حيث يدفع توهم المجاز (1).

وقد لوحظ في محاورة الأنبياء لأقوامهم أن الجمل التى يقوم الإتصال بينها لدرجة الكمال أكثر ما تكون إذا كانت الجملة الثانية تأكيداً للأولى والتوكيد يدفع توهم غير المقصود ، وليس هناك حد فاصل بين ما يقع تأكيداً ، أو بياناً ، أو بدلاً ولذلك يتجه عبد القاهر إلى أن الجملة الثانية في قوله تعالى : (ماهذا بشراً إن هذا إلا ملكٌ كريم) محتملة للتأكيد ، أو بمنزلة الصفة والبيان .

ويلخص الخطيب كلامه بقوله : وأما قوله تعالى: "ماهذا بشر إن هذا إلا ملك كريم" فيحتمل التبيين والتأكيد ، أما التبيين فلأنه يمتنع أن يخرج من جنس البشر، ولايدخل في جنس آخر ، وإثبات الملكية له تبيين لذلك الجنس (2). أما التأكيد فلأنه إذا كان ملكاً لم يكن بشراً .

1-الإيضاح – الخطيب القزويني – صـ 250

2- سورة هود عليه السلام دراسة لخصائص نظمها واسرارها البلاغية - دخيل الله بن محمد الصحفي – صـ 255

وتتحقق هذه الشواهد من السورة في قوله تعالى : (فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ)(1) حيث جاءت جملة "إنه الحق من ربك" لتقوي المعنى السابق وتؤكده وتضفي عليه طابع الإهتمام ، وقد عدَّ الطاهر بن عاشور الثانية على سبيل الاستئناف البياني (2) .

يقول أبوموسى : (وليس الذي قلناه في علاقات المعاني في هذا الضرب من الإستئناف ما لايحتمل الكلام غيره فقد تلمح نوعاً من الصلة غير الذي أشرنا إليه، وقد ترى في شواهدنا كثيراً غير الذي قلناه ولا عليك إذا كان هناك وجه ينهض به الكلام)(3) .

وجاءت جملة "لاجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون" بمنزلة التوكيد المعنوي لجملة "وضل عنهم ماكانوا يفترون" فنجد بينها وبين الأولى كمال اتصال لتوكيد معناها ، وهذا ما نجده أيضاً في قوله تعالى : (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ * يا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)(4) فقد فصل بين هذه الجمل لقوة الصلة المعنوية بينها , فقد جاءت جملة "إن أنتم إلا مفترون" و "إن أجري إلا علي الذي فطرني" بمنزلة التوكيد المعنوي للجمل المتقدمه عليها وهو توكيد يبين استحقاق الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، وفيه بث لروح العقيدة في قلوب قومه .

وفي خطاب صالح عليه السلام نلحظ التوكيد في قوله : (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ)(5) فجملة إن ربك قوي عزيز فيها ظاهرٌ فيها توكيد إنفراد المولى عزَّ وجل بالقوة والعزة ، فمن كان الله معه فلا غالب له ، وهي توكيد لجملة نجينا صالحاً . كما نلحظ التوكيد في قوله تعالى : (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ)(6) فجملة إن أريد إلا الإصلاح جاءت توكيد معنوياً لقوله "ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه" لأن إرادته هي مفهوم قوله تعالي : "الى ما أنهاكم عنه" فبينها وبين "إن أريد إلا الاصلاح" كمال إتصال لتوكيد معناها .

1- سورة هود – الآية (17)
2- التحرير والتنوير – ج12 – صـ 31
3- دلالات التراكيب – محمد محمد أبوموسي – مكتبة وهبة القاهرة– صـ 331
4- سورة هود – الآيات (50 - 51)
5- سورة هود – الآية ()
6- سورة هود – الآية (88)

أيضاُ من كمال الاتصال أيضاً قوله تعالى على لسان إمرأة إبراهيم عليه السلام : (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)(1) فجملة إن هذا لشيئ عجيب بمنزلة التوكيد لقولها "وهذا بعلي شيخاً" لذلك فصلت عن التي قبلها بكمال الإتصال بين الجملتين.

البيـــــان : وهو أن تكون الجملة الثانية بياناً للأولى وتوضيحاً وتفسيراً لها من حيث كشف خقلئقها وإزالة إبهامها ، وقد تحققت صوره في الشواهد الآتية :

حيث فصل قوله : "هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها" عن قوله : (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)(2) لأنها منها بمنزلة البيان، فالبدء في ذكر قوله هو أنشأكم من الأرض إنما هو كشف وتوضيح لإبهام "مالكم من إله غيره" في الجملة السابقة .

كذلك فصلت جملة "إنا أرسلنا إلى قوم لوط" من جملة "قالوا لاتخف" إذ الجزء المتقدم ظل معناه مطوياً ملفوفاً ، حتى أوضحته الجملة الثانية وكشفت عن مكنونه فبين الجملتين كمال اتصال .

وتأمل كيف جاءت جملة "يا بني اركب معنا " تفسيراً وبياناً لسابقتها "ونادي نوح ابنه وكان في معزل " لكونها مبينة لها وموضحة لإبهامها وكأنها تبين ماهية الذي حدث .

ويجيئ الفصل بين جملتي "ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه إني لكم نذير مبين ألا تعبدوا الا الله " على سبيل كمال الاتصال لكون الثانية كشفاً للأولى وتفسيراً لها .

البـــدل : وهو نوع من أنواع الفصل لكمال الاتصال و ويتحقق بكون الجملة الثانية بمنزلة البدل من الأولى ، والمقتضي للإبدال كون الجملة الأولى غير وفية بالمعني المراد ، فتأتي الثانية لتوفيه إذ المقام يقتضي الاعتناء به لنكتة ما لكونه عجيباً أومثيراً أو لطيفاً (3).

1- سورة هود – الآية (72)
2- سورة هود – الآية (50)
3- أسرار الفصل والوصل في القرآن الكريم – صباح دراز – مطبعة الأمانة مصر – الطبعة الأولى 1986م _ صـ106

وقد تحقق الفصل لكمال الاتصال بالبدل في المواضع الآتية من سورة هود قال تعالى : (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ)(1)فلفظة "ألا إن ثمود" عامة تشمل جميع من حل بهم العذاب وهم قوم صالح ، ثم جاءت جملة "ألا بعداً لثمود" بدلاً من سابقتها حيث تشمل هؤلاء علي سبيل كمال الاتصال ، فهي بدل كل من كل وفيها وضع المظهر بدل المضمر .

وشبيه بما سبق قوله تعالى في قصة شعيب عليه السلام (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ)(2) قوله "ألا بعداً لمدين"عام يشمل جميع من حل بهم العذاب وقوله "كما بعدت ثمود" بمنزلة البدل من سابقتها علي سبيل كمال الاتصال .

من ذلك أيضاً قوله تعالى : (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحصيد)(3) جملة "من أنباء القري " عامة تشمل جميع القري السابقة للنبي صلي الله عليه وسلم ثم جاء قوله "منها قائم وحصيد" بمنزلة بدل الاشتمال على سبيل كمال الاتصال .

الاستئناف البيـــاني : كثر هذا النوع في السورة ، وأنتشرت أساليبه بين آياتها ، ولعل ذلك لأنه يمثل إرادة الحوار المتبادل بين أطراف القصص في مراحله المختلفة .

يقول عبد القاهر الجرجاني : "الاسلوب الذي تراه في التنزيل من لفظ 'قال' مفصولاً غير معطوف ، جاء على مايقع في أنفس المخلوقين من السؤال ، فلما كان العرف والعادة من المخلوقين إذ قيل لهم – دخل قوم على فلان فقالوا كذا- أن يقولوا فماذا قال ؟ فيقول المجيب قال كذا ، وخرج الكلام ذلك المخرج لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه، وسلك بالمسلك الذي يسلكونه "(4) .

كذلك يرد الاستئناف البياني في الأساليب اللتي ترد فيها الجملة المؤكدة عقب الأمر والنهي ، وهناك أساليب من شبه كمال الاتصال ماجاء علي غير المنوالين السابقين حيث تكون الأولى متضمنة لسؤال تصلح الثانية أن تكون جواباً له ، وفي هذا تكمن القيمة البلاغية لاسلوب الاستئناف (5)

1- سورة هود – الآية (67)
2- سورة هود – الآية (95)
3- سورة هود – الآية (100)
4- دلائل الإعجاز الجرجاني – تحقيق : محمود شاكر – صـ240
5- دلائل التراكيب – 331

الاستئنـــاف البياني في صيغ الحـوار :

للاستئناف البياني في سورة هود نورد الشواهد الآتية :

قوله تعالي : (قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ)

وقوله تعالى : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً)
وقوله تعالى : (قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ)

وقوله تعالى : (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ)
وقوله تعالى : (قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)

وقوله تعالى : (قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ)

وقوله تعالى : (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ... قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ)(1)

الاستئناف في الآيات السابقة مظهر من مظاهر اللفت والإثارة والتشويق الذي يتميز به جدال الأنبياء مع أقوامهم ومما جاء على شاكلته قوله تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ)(2) فالآية تنفي أن يكون في الوجود أظلم ممن إفترى على الله كذباً ، وقد جاءت الآية بهذا النفي في تركيب إستفهامِ كيما يكون مستقراً في كل قلب متقلقلاً في كل نفس ، وعندما تعرف الحقيقة إذا كان هؤلاء لا أحد أظلم منهم فما مصيرهم؟ فيجيئ الاستئناف البياني ليلفت الأذهان إلى مصيرهم مصدراً باسم الإشارة "أولئك يعرضون على ربهم" وكأن الإستئناف البياني السابق مقصوراً على تهديدهم في الآخرة فأعقبه بإستئناف آخر ليزيل الالتباس من ذهن السامع .

1- سورة هود – الآيات (43 – 63 -79 -80 -53 -91- 92)
2- سورة هود الآية (18)

الاستئناف البياني بالجملة التعليلية :

جاء الاستئناف البياني علي غير ماسبق ، ويكثر بدأ الجمل التعليلية بأن التوكيدية مراعاة لمقام التسـاؤل والطلب في الجملة الأولى ، وفي مقام الأمر والنهي خاصة تحتاج النفس إلى معرفة سبب أمرها وسبب نهيها عن هذا الفعل أوذاك ، وهنا يحسن الإستئناف التعليلي وويعظم موقعه ، وقد جاءت الجمل التعليلية إستئنافاً بعد النهي في المواضع الاتية :

ورد التعليل عقب الأمر بعد طلب هود عليه السلام من قومه أن يعبدوا الله في قوله تعالى : (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إن أنتم إلا مفترون)(1) فإن جملة "مالكم من إله غيره" استئناف مع تعليل الأمر بالعبادة .

ومن مجيئ الاستئناف بعد الأمر قوله تعالى : (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ)(2) فجملة "جاء أمر ربك " استئناف بياني وقع تعليلاً لقوله "أعرض عن هذا" فكأن سائلاً سأل لم يعرض عن هذا ؟ فقال مستأنفاً : إنه قد جاء أمر ربك.

وفي قوله تعالى علي لسان شعيب : (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ)(3)فعندما أشار شعيب عليه السلام الى قومه بالتهديد "إعملوا علي مكانتكم إني عامل سوف تعلمون " كان مظنة أن يسأل منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل : سوف تعلمون, فالاستئناف هنا أنسب لمجادلة شعيب لقومه ، وقد قارن الزمخشري بين هذه الآية وبين قوله : (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ويحل عليه عذاب مقيم) يقول الزمخشري : إن قلت اي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في "سوف تعلمون"قلت : إدخال الفاء وصل ظاهر لحرف بحرف ، ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن علي مكانتنا وعملت أنت علي مكانتك فقال : "سوف تعلمون" فوصل تارة بالألف وتارة بالاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكثر محاسنه (4)

1- سورة هود – الآية (50)
2- سورة هود – الآية (76)
3- سورة هود – الآية (93)
4- الكشاف – الزمخشري _ ص292

وإنما كان الإستئناف أبلغ الوصلين لأنه تتبع لحال المخاطبين وبناء الكلام على ما يلاحظ من حالهم .

من الإستناف مع التعليل قوله تعالى : (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ)(1) حيث جاء الاستئناف تعليلاً للنهي، وكأنه أحدث سؤالاً مفاده لم لايلتفتون إلا أمرأته ؟ فجاء الجواب "إنه مصيبها ما أصابهم" استئنافاً بيانياً على تقدير التساؤل المتقدم .

وكأن جملة "إن موعدهم الصبح " مستأنفة إستئنافاً إبتدائياً ، والتى فصلت عما قبلها للاهتمام والتهويل وقد أحدثت تساؤلاً آخر في قوم لوط من إستبطاء العذاب ، فجاء الاستئناف التعليلي مجيباً على ماجاش في نفسه عليه السلام "أليس الصبح بقريب" وهذا خلاف المتبادر إلى الذهن لأن الظاهر إن فصل جملة "أليس الصبح بقريب" عما قبلها "إن موعدهم الصبح " سببه كمال الإنقطاع لاختلاف الجملتين خبراً وإنشاء لفظاً ومعني (2).

وقد يأتي الاستئناف البياني في سياقات خالية من الخصومة ولكنها تنطوي على غرابة فيكون الاستئناف تعليلاً للشيئ بما ينفي عنه الغرابة كما في قوله تعالى : (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالح)(3) فإن قوله تعالى إنه ليس من أهلك موضع غرابة وتساؤل ولذا كان التعليل "إنه عمل غير صالح" إذ الاعتبار بقرابة الدين لابقرابة النسب .

كذلك جاء الاستئناف تعليلاً للأمر في قوله تعالى : (وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ)(4) فإن جملتي "إنا عاملون" و "إنا منتظرون" قد وقعتا تعليلاً لفعلي الأمر "اعملوا" و"انتظروا" ونلحظ أن الاستئناف وقع بدل من فعل الأمر في قوله تعالى : (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات) فقد كان مظنة سؤال من سائل لم تقام الصلاة في هذين الوقتين ؟ فقال "إن الحسنات يذهب السيئات" تعليلاً لما أثاره السائل .

1- سورة هود – الآية (81)
2- التحرير والتنوير – ج12 – صـ 133
3- سورة هود – الآية (46)
4- سورة هود – الآية (121-122)

من الاستئناف مع التعليل أيضاً قوله تعالى عن هود عليه السلام : (فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ)(1) فإن جملة "إني توكلت على الله" جات استئنافاً وتعليلاً لقول هود عليه السلام "فكيدوني جميعاً" .

كذلك جاء الاستئناف تعليلاً للنهي في خطاب المولى عز وجل (وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ)(2) حينئذ نتسائل عن سر هذا النهي لم لا يخاطبه في هؤلاء القوم؟ فيجيئ الجواب استئناف بيانيعلى تقدير السؤال المتقدم .

ومن مجيئ الاستئناف تعليلاً للنهي قوله تعالى : (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ)(3) وذلك عندما أوجس إبراهيم منهم خيفة أجابوه بقولهم لا تخف ، فأثار سؤالاً في نفسه ما سبب مجيئكم ؟ فكان الجواب "إنا ارسلنا الى قوم لوط" مكاشفة منهم بأنهم ملائكة(4)

كمـــال الإنقطاع

يتمثل هذا المصطلح في مفهوم البلاغيين في صورتين :

الأولى : اختلاف الجملتين خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى أو معنى فقط .

الثانية : ألا يكون بين الجملتين جامع ليصـح العطف .

الصورة الأولى تتحقق بتباين الجملتين خبراً وإنشاء في اللفظ والمعنى أو في المعنى فقط ، وقد رفض جمهور النحويين فيها العطف ومن الشواهد الواردة فيها من سورة هود قوله تعالى : (إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ...)(5) نلحظ جلياً تباين الجملتين خبراً وإنشاء ففصل بينهما لكمال الإنقطاع .

1- سورة هود – الآية (54 - 55)
2- سورة هود – الآية (37)
3- سورة هود – الآية (70)
4- التحرير والتنوير – ج12 – صـ 130
5- سورة هود – الآية (12 - 13)

وعلى شاكلة ماسبق جاءت الجمل الآتية مفصولاً بعضها عن بعض لاختلاف الجملتين خبراً وإنشاء (فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ) و (أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ) و (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ) و (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا) و (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) .

وفي قوله : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ)(1) نجد في هذه الآية كمال انقطاع لأن قوله تعالى : (فعميت عليكم) جملة لها من الإعراب بينما الجملة الثانية "أنلزمكموها" ليس لها محل من الإعراب ففصل بينهما لكمال الانقطاع .

أما الصورة الثانية من كمال الانقطاع فتتحقق في الجملة المفصولية من غير الأساليب المتقدمة ، وقد انعدمت فيها المناسبة الملتزمة للعطف الصريح ، غير أننا لانعدم فيها رابطاً معنوياً أو تسلسلاً ذهنياً (2) .

قال تعالى : (ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ)(3) نجد أن الفصل لكمال الانقطاع قد تحقق هنا، فبعد إنتهاء القصص وأحداثها إلتفت القرآن إلى النبي صلي الله عليه وسلم فقال "تلك من أنباء الغيب " هذه مفصولة عما قبلها لأنه لا مسوغ للعطف فأحداث القصة قد إنتهت وهذا شروع في إزجاء العبروالتفت إلى المواعظ فيها .

أما الفصل بين قوله : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(4) وقوله : (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ)(5) فهذه الجملة أو الآية لم تعطف على سابقتها ، لأنه كلام جديد يخبر فيه عن حال الفريقين ، فالفصل لأنها خبران ، والفصل في الثانية لعدم وجود مسوغ للعطف ولعدم التناسب بين الآيتين .

ومثلها قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (6) حيث فصلت عن قوله "من كان يريد الحياة الدنيا" لعدم التناسب بين الجملتين .

1- سورة هود – الاية (28)
2- أسرار الفصل والوصل- صبح دراز – صـ108
3- سورة هود – الآية (49)
4- سورة هود – الآية (23)
5- سورة هود – الآية (13)

وشبيه بما سبق قوله تعالى : (لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ*إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ)(1) فهي مفصولة عما قبلها لأنه لا مصوغ للعطف هنا لعدم التناسب بين المبتدأ والخبر فيهما كمال انقطاع .

مواطن الوصل :

له موطنان : أولهما كمال الانقطاع مع الإيهام بمعنى أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاء ، والفصل فيهما يوهم خلاف المقصود كقول ابي بكر لرجل أتبيع هذا الثوب؟ قال لا عافاك الله فقال له قل لا وعافاك الله ، وهذا النوع لا يوجد له شاهد قرآني والحسن فيه محمود (2) .

ثانيهما : التوسط بين الكمالين أي بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع وهو نوعان : الأول : أن تتفق الجملتان في الخبرية والإنشائية والواقع أن المعني الخبري أو الإنشائي هو الأهم والصورة الشكلية خبراً وإنشاء ليست مقصودة لذاتها .

من شواهد هذا النوع في سورة هود قوله تعالى : (إلى الله مرجعكم وهو على كل شيئ قدير) ففي الجملتين تناسب في المعني لأن قوله : "وهو على كل شيئ قدير" عام يشمل الرجوع إليه سبحانه ، إذ أن من مظاهر قدرته خلق الإنسان ورجوعه إليه, لهذا فهو يعتبر جزءاً من كل مظاهر قدرته ، ففيهما توسط بين الكمالين ومثلهما قوله تعالى : (إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)(3) حيث عطف بين هاتين الجملتين لأن الجملتين متناسبتان في العنى ، فالنذارة تعتبر جزءاً من الوكالة ، ماعليك إلا النذارة وماعداها فأمره موكل الي الله سبحانه وتعالى ، فالجملتان خبريتان لفظاً ومعني وبينهما توسط بين الكمالين .

أيضاً منه قوله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الي ربهم) فقد وجد العطف بين الجملتين لتناسبهما في المعنى ، لأن الإخبات أعلى درجات الإيمان يقتضي زيادة في الخشوع ، يقول ابن منظور أخبت إلى ربه اطمأن إليه (4) فالفعل يدل علي الاطمئنان وهذا يعني أنه وجد راحة وسكون في الركون إلى الله ، فبين الجملتين تناسب في المعنى إذ الإخبات يعني الإيمان وزيادة، فعطف بينهما للتوسط بين الكمالين .

1- سورة هود – الآية (12 - 22)
2- اسرار الفصل والوصل – صـ 123
3- سورة هود – الاية (12)
4- لسان العرب – ابن منظور – مادة خبت

وحين يكون النهي مؤكداً للأمر نلحظ التناسب بين الجملتين كقوله تعالى : (يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ)(1) فيهما توسط بين الكمالين لأنهما إنشائيان لفظاً ومعني .

ومن التوسط بين الكمالين قوله تعالي : (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ)(2) وقد عطف قوله "ولاتتولوا" على الأول "استغفروا" وذلك لأن الاستغفار إقبال على الله ، وعدم التولي ايضاً يعني الإقبال فبين الجملتين تناسب في المعنى و ولذلك عطف بينهما للتوسط بين الكمالين ، وقد يكون بين الجملتين في المعني لأن بينهما تضاداً يؤدي إلى التناسب في المعنى.

وفي قوله تعالى : (أؤلئك يؤمنون به ومن يكفربه من الأحزاب فالنار موعده) فعطف بين الجملتين لأن بينهما تضاد والتضاد يؤدي الى التناسب في المعني فبين الجملتين توسط بين الكمالين .

وقد ياتي العطف بين الجملتين إذا كان الثانية جزءاً من الأولى كقوله تعالى: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ)(3) فالضلال جزء من خسارة النفس فلم يعد ينفعهم افتراؤهم الذي كانوا يفترون به ، فبينهما توسط بين الكمالين للتناسب بينهما في المعنى .

منه أيضاً قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاء)(4) فقد عطف بينهما للتناسب في المعنى ، فهم بأنفسهم لم يعجزونا ولا أوليائهم ، فعطف بين الجملتين لما بينهما من التوسط بين الكمالين .

وعلي ضوء ما سبق جاءت هذه الآيات :

قوله تعالى : (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا)

وقوله : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ)
وقوله : (هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ)(5)

1- سورة هود – الآية (42)
2- سورة هود – الآية (52)
3- سورة هود – الأية (21)
4- سورة هود - الآية (20)
5- سورة هود – الآيات (6- 35- 64)

المبحث الســادس

الاســـتعارة

هي أحد أبوب علم البيان وقد تعددت تعريفاتها في مواضع شتى من مؤلفات علم البلاغة .

والاستعارة في اللغة مشتقة من الفعل "عور" يقال استعار ثوباً فأعاره إياه ومنها ومنها قولهم "كير مستعار" وقد قيل مستعار بمعنى متعاور أو متداول (1).

والاستعارة في الاصطلاح لها تعريفات عديدة بل أن جميع علماء البلاغة تنافسوا في وضع تعريفات لها تبين مفهومها ، وهي وإن إختلفت عباراتها فإنها تكاد تكون متفقة مضموناً ، ويورد ابن رشيق رأيه في منزلة الاستعارة قائلاً : "الاستعارة أفضل المجاز ، وأول أبواب البديع ، وليس في حلي الشعر أعجب منها وهي من محاسن الكلام ، إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها"(2) .

واكتفي هنا بذكر بعض التعريفات إذ ليس هناك متسع لذكرها جميعاً منها تعريف القاضي الجرجاني لها بقوله : "ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصلي ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها" وملاكها بقرب التشبيه ومناسبة المستعار للمستعار له , وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لايوجد بينهما منافرة ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخـر (3).

وأما أبو هلال العسكري فيري أن المقصود من الاستعارة "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة الى غيره لغرض"(4) .

أما السكاكي فيرى أن الاستعارة هي "أن نذكر أحد طرفي التشبيه ونريد به الطرف الآخـر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به" (5)

1- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي – تحقيق: احمد عبد الغفور العطار – الناشر : دار العلم للملايين - الطبعة الرابعة – 1987م – ج2 – صـ 761
2- العمدة في محاسن الشعر وآدابه – ابن رشيق القيرواني – تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد – دار الجيل – الطبعة الخامسة – ج1 - صـ268
3- المصدر السابق – صـ 269
4- الصناعتين – ابوهلال العسكري – تحقيق : محمد علي البجاوي - المكتبة العصرية – صـ259
5- مفتاح العلوم – السكاكي – صـ 369

ويكاد يتفق معظم المتأخرين في تعريف الاستعارة ومن هذه التعريفات "استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعني الأصلي للكلمة ، والمعنى الذي نقلت إليه الكلمة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي " (1).

نتوقف هنا مع الاستعارة في آي الذكر الحكيم , وما يهمنا في هذا البحث الاستعارة الواردة في سورة هود عليه السلام ، فإذا قلبنا صفحات هذه السورة وجدنا ضروباً متنوعة للاستعارة ففيها الاستعارة التبعية والإستعرة التمثيلية والاستعارة المكنية والاستعارة التهكمية والاستعارة التصريحية.

نبدا بالاستعارة المكنية :وهي ماحذف منها المشبه به "المستعار منه" وبقيت صفة من صفاته أو لازمة من لوازمه (2) . ونجدها في سورة هود في قوله تعالى : (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ)(3) "إذا اذقنا الإنسان من رحمة" ففي الإذاقة استعارة مكنية لأنه الأصل في تناول الشيئ بالفم ، ثم استعير بالذات تشبيهاً لها بما يذاق ثم يزول بسرعة كما تزول الطعوم (4) والمراد هنا بالإذاقة ما يتذوقه الإنسان من الشراب والأكل المحبوب ، والمراد ما يدركه الإنسان ويعطى له من النعم علي سبيل المجاز (5) ، ويرى ابن عطية أن "أذقنا" هنا مستعارة لأن الرحمة هنا تعم جميع من ما ينتفع به من مطعوم وملبوس وجاه وغير ذلك (6).

1- من بلاغة القرآن – محمد علوان – الدار العربية للنشر والتوزيع – ط: الثانية-صـ369
2- المرجع السابق – صـ 370
3- سورة هود – الآية (9)
4- إعراب القرآن الكريم – محي الدين الدرويش - - دار الإرشاد – ط:الثالثة – ج12 – صـ321
5- معاني القرآن الكريم – أبوزكريا يحي بن زياد الفراء –تحقيق : أحمد يوسف – الدر المصرية للتأليف – ج2 – صـ250
6- المحرر الوجيز – ابن عطية الأندلسي – تحقيق عبدالسلام عبد الشافي – ج3 – صـ153

ومن الاستعارة المكنية نداء الأرض والسماء وأمرهما كما ينادى العاقل ويؤمر كما في قوله تعالى : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (1) الحوار في هذه الاية يدور بين الله عز وجل من ناحية وبين الأرض والسماء من ناحية أخرى ، وقد أضفي الحوار على هذه الآية الحياة والحركة ، وبث في الجمادات الحياة على سبيل الاستعارة المكنية .

ويورد القزويني الاستعارة قوله : "يا أرض" و "يا سماء"مخاطباً لهما على سبيل الاستعارة، ثم استعار لغور قعر الماء في الأرض أي البلع الذي هو اعمال الجاذبة في الطعوم بجامع الذهاب إلى مقر خفي كل (2) ، واستتبع ذلك تشبيه الماء بالغذاء على سبيل الاستعارة لتقوي الأرض بالماء في الإنبات للزرع ، وجعل قرينة الاستعارة لفظ أبلعي لكونه موضوعاً للاستعمال في الغذاء دون الماء .

ومن باب تشخيص المعنويات علي سبيل الاستعارة المكنية قوله تعالى : (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ)(3) فقد شبه "الروع" بمن يأتي منه الذهاب ، وشبه "البشرى" بمن يأتي منه المجيئ بجامع الحركة في كل ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيئ من لوازمه وهو "الذهاب والمجيئ" ، فالروع لايأتي على الحقيقة وكذلك البشري لا تجيئ وهما أمران معنويان لا يتصفان بالحركة حتى ينسب إليهما الذهاب ، وإنما شبههما الله تعالى لمن يأتي منه الذهاب والمجيئ علي سبيل الاستعارة المكنية .

أيضاً قوله تعالى : (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ)(4) فالصلاة في الآية الكريمة آمرة على سبيل الاستعارة .

ومن الإستعارة المكنية أيضاً "منها قائم وحصيد" في قوله تعالي : (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحصيد)(5)ففي الآية هذه شبه مابقي من آثار القري وجدرانها بالزرع القائم علي ساقه ، وشبه ما هلك مع أهله ولم يبقي له أثر بالزرع المحصود بالمناجل علي طريق الاستعارة المكنية

1- سورة هود – الآية (44)
2- الإيضاح – الخطيب القزويني – صـ 271
3- سورة هود – الاية (74)
4- سورة هود – الآية (87)
5- سورة هود – الآية (100)

من الإستعارة أيضاً قولع تعالى : (وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ)(1) الاستعارة في الاية الكريمة مزدوجة فالحسنات والسيئات امران معنويان يوصفان هنا بما توصف به الإمور المادية وهو قوله تعالى : "يذهبن" إذ حذف المشبه به وهوالأمر المادي واشار إليه بشيئ من لوازمه وهو قوله "يذهبن" .

- ومن ضروب الاستعارة في علم االبيان الاستعارة التهكمية : وهي استعمال الألفاظ الدالة على المدح وفي ظاهرها الذم والإهانة ، وقيل هي استعارة أحد الضدين أو النقيضين بواسطة إنتزاع شبه التضاد ، وإلحاقه بشبه التناسب التهكم أو التلميح ، ثم إدعاء أن أحدهما من جنس الآخر .

من الاستعارة التهكمية في سورة هود قوله تعالى : "إنك لأنت الحليم الرشيد" ففي الاية مبالغة في التهكم على وجه يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به ، وأرادوا بقولهم "إنك لأنت الحليم الرشيد" نسبته إلى غاية السفه والغي .

وأرد صاحب الطراز في هذه الاية قوله : "فلم يخرجوه على جهة استحقاقه لهاتين الصفتين مع كونه أهلاً لهما ، وإنما أخرجوه مخرج الاستهزاء والتهكم بحاله تمرداً واستكباراً ، وغرضم إنك لأنت السفيه الجاهل"(2)

من الاستعارة التهكمية كذلك قوله تعالى : (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ) المراد بقوله "فأوردهم النار" يورد قومه وأتباعه نار جهنم ويوصلهم إليها ، وعبر بالماضي لتحقق الوقوع على سبيل الاستعارة التهكمية، لأن وارد الماء ينتفع بها ووارد النار يحترق بلهيبها ، والاسلوب يفيد الذم والتحقير. وفي هذه الآية أيضاً استعارة مكنية حيث تصور الآية الكريمة النار بالمنهل الذي يرده الناس وقد حذف المشبه به ودل عليه دليل هو قوله "فأوردهم" فالورد يراد لتسكين العطش ، وتبريد الأكباد وهذا يفيد ضد ذاك .

1- سورة هود – الآية (114)
2- الطراز _ يحي بن حمزة – تحقيق : عبد السلام شاهين –ج3 –ص55
3- سورة هود – الآية (98)

وشبيه بما سبق قوله تعالى : (وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ)(1) والمعنى بئس العطاء المعطي والعون المعان به وهو اسلوب ذم وتقبيح , فكأنه جعل اللعنة عطاء لهم وإعانة (2) واعتبر الصابوني أن قوله "فأوردهم النار" فيه استعارة مكنية لأن الورد يقال في الأصل للمرور على الماء للاستسقاء منه فشبه النار بما يورد وحذف المشبه به ورمز إليه بشيئ من لوازمه وهو الورد وشبه فرعون في تقدمه على لقومه بمن يتقدم الواردين للماء ليكسر العطش(3) ويؤكد هذا المعنى قوله "بئس الورد المورود" ، وإذا عدنا الس قوله تعالى : (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ)(4) فإنا نجد كلمة "ركن" من باب الاستعارة التصريحية حيث استعار للقوم والعشيرة لفظ الركن لعلاقة المشابهة بينهما ، وقد جعلهم ركناً له لأن الإنسان يلجأ إلى قبيلته ويستند إلى أعوانه كما يستند إلى ركن البناء المرصوص .

- الإستعارة التمثيلية : المقصود بها اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينتة مانعة من إرادة المعني الحقيقي(5)

وتتمثل الإستعارة في سورة هود في قوله تعالى : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ)(6) ففي قوله : "فعميت عليكم" شبه الذي لايهتدي بالحجة لخفائها عليه ، بمن سلك مفازة لا يعرف طريقها ومسلكها ، واتبع دليلاً أعمى فيها على سبيل الاستعارة التمثيلية (7) .

ومن الاستعارة التمثيلية أيضاً قوله تعالى : (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(8) ففي الآية استعارة تمثيلية حيث شبه الخلق وهم في قبضة الله وملكه وتحت قهره وسلطانه بالمالك الذي يقود المقدور عليه بناصيته كما يقاد الأسير والفرس .

1- سورة هود – الآية (99)
2- معارج الصعود الي تفسير سورة هود – مهمد الأمين الشنقيطي –دار المجتمع جدة – الطبعة الأولى 1988م – صـ 212
3- صفوة التفاسير – الصابوني – ج2 – صـ5
4- سورة هود – الآية (80)
5- البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان – محمد رمضان الجربي – منشورات جامعة نصر – الجماهيرية العظمي – الطبعة الأولي 1997م-صـ 265
6- سورة هود – الاية (28)
7- سورة هود – الآية (56)

من الاستعارة التمثيلية كذلك قوله تعالى : (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ)(1) حيث جعل عدم الوصول كناية عن إمتناعهم عن الأكل ، المعنى لايمدون أيديهم إلى أكله فهو لايريد أن ينفي الوصول الناشئ عن المد (2).

وفي قوله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ)(3) نجد فيها استعارة تمثيلية حيث شبه حال لوط عندما لم يجد حيلة في الدفاع عن حقه وإن كان أمامه وفي متناول يده .

ومن الاستعارة التمثيلية أيضاً قوله تعالى : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)(4) فإن قوله واتخذتموه وراءكم ظهرياً فيه استعارة تمثيلية كالشيئ الذي يلقى وراء الظهر ولا يكترث به .

1- سورة هود – الآية (70)
2- صفوة التفاسير – الصابوني – ج2 – صـ 47
3- سورة هود – الآية (77)
4- سورة هود – الآية (92)

الخـــــــــــاتمة

وبعد أن تم الحديث عن النظم القرآني في سورة هود عليه السلام وتناول الأساليب البلاغية فيها الي جانب تناول التصوير الفني في القرآن الكريم متمثلاً في الألوان البيانية ، والفنون البديعية ، ثم عرض التناسق الفني في السورة ممثلاً في الوحدة الموضوعية ، ولغة الحوار ، وإنتهاءاً بالإيقاع الموسيقي ونظم الفواصل .

وبعد هذه الرحلة الشاقة والممتعة من البحث التي تنقل فيها الباحث بين كتب التفاسير والبلاغة والأدب ، خاصة وأن سورة هود عليه السلام تعد من السور التي تكاد تمثل معجماً بلاغية خاصاً .

تبقي للباحث أن يسجل أهم ما وصل إليه من نتائج مع تسجيل بعض التوصيات

- **النتـــائـج :**

1- إن سورة هود عليه السلام تعد بحق موسوعة لغوية للأساليب ، ومعجماً للفنون البلاغية إذ احتوت على أغلب موضوعات نظرية النظم التي ذكرها عبد القاهر الجرجاني .

2. تزينت سورة هود عليه السلام بفنون البلاغة المختلفة ، ولكن الذي أختصت به هذه السورة غزارة هذه الفنون بصورة عامة وفي بعض آياتها بصورة خاصة فالإنسان يقف عاجزاً أمام قوله تعالى : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) لما تحتويه هذه الآية من فنون البلاغة .
3. إن سورة هود عليه السلام ببديع نظمها ، وعجيب تناسقها ، وروعة اتساقها ، وعظمة بديعها تكشف عن الإبداع الإلهي المعجز ، والدقة العالية في تركيب النص القرآني وانسجام ألفاظه وتآلف عباراته .
4. إن سورة هود عليه السلام تتسم بما أتسم به القرآن العظيم من بلاغة حار فيها فصحاء العرب فسلملوا له ولم يقدموا علي معارضته .
5. إن الفنون البلاغية بشتى أنواعها وجه من وجوه الإعجاز القرآني الذي تحدي به الله سبحانه وتعالي العرب ، وهو سمة جلية يمتاز بها النظم القرآني , وسر من أسراره في سورة هود عليه السلام .
6. إن النظم القرآني في سورة هود عليه السلام مباين لأي نظم وأن أساليبها مخالفة للأساليب الوصفية ، ففيها عجيب النظم وبديع التأليف ' وإنسجام الألفاظ وتآلف العبارات ، وقوة السبك وإحكام النسج وحسن الإيقاع وسحر الفواصل .

التوصـيات :

1- الاهتمام بدراسة التراث البلاغي الذي يمثل كنزاً من كنوز العربية ، وإعادة صياغة مؤلفاته بما ييسر التعامل معها خاصة في ظل التطورات والتغيرات التي نعيشها من ناحية ، وبما يحقق لبفلئدة من ناحية أخري .
2- توجيه عناية الطلبة والباحثين إلى دراسة البلاغة العربية والتخصص فيها لما في ذلك من إحياءٍ للتراث ، وحفظ للغة خاصة وأن هذا العلم من أشرف العلوم وأجلِها ، لإرتباطها بكتاب الله سبحانه وتعالى .
3- إعطاء القرآن الكريم عناية أكبر ومساحة أوسع من الدراسات البلاغية و إلي جانب القرآن الكريم والحديث الشريف والأدب العربي.
4- توجيه الدراسات نحو بلاغة القرآن فإنه جامع لكثير من الأساليب البلاغية والألوان البيانية والفنون البديعية التى يستحيل أن يحصيها عد .
5- اوصى الدراسين المتحمسين أن يقوموا بدراسة بلاغية وافية في سورة هود تشتمل على علوم البلاغة الثلاثة (البيان والبديع والمعاني).

المصادر والمـراجع

1- الإتقان في علوم القرآن – السيوطي – تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم – مكتبة دار التراث القاهرة .
2- أسرار الفصل والوصل – صباح دراز – مطبعة الأمانة مصر – الطبعة الأولي 1986م .
3- الإشارة إلي الإيجاز في بعض انواع المجاز – العز بن عبد السلام – دار المعرفة بيروت – بدون تاريخ .
4- إعجاز القرآن الكريم – فضل حسن عباس – دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان الأردن – 1991م .
5- اعراب القرآن الكريم وبيانه – محي الدين الدرويش – دار ابن كثير دمشق – الطبعة الرابعة 1994م .
6- اعراب القرآن المنسوب للزجاج – تحقيق ودراسة: إبراهيم الأنباري –دار الكتاب اللبناني بيروت – الطبعة الثانية 1986م .
7- الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز – مختار عطية – دار المعرفة الجامعية افسكندرية 1997م .
8- الإيضـاح – الخطيب القزويني – دار الكتب البنانية بيروت – الطبعة الثانية 1971م .
9- البحر المحيط - بن حيان الأندلسي – دار الفكر بيروت – الطبعة الثانية 1987م .
10- البلاغة فنونها وأفنانها "علم المعاني" – فضل حسن عباس – دار الفرقان للنشر الأردن – الطبعة السابعة 2000م.
11- البرهان في علوم القرآن – الزركشي – تقديم وتعليق : محمد عبدالقدر عطا – دار الفكر بيروت – الطبعة الأولى 1988م .
12- تفسير الفخر الرازي "مفاتيح الغيب" – دار الكتب للطباعة والنشر بيروت – الطبعة الأولى 1981م .
13- الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – ضبط وتعليق : محمد إبراهيم الحفناوي – دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع 1996م .
14- الحوار في القرآن الكريم – رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة "جامعة أم القري" – إعداد الباحث : محمد إبراهيم شادي – إشراف الدكتور محمد عبدالرحمن الكردي 1986م .
15- خصائص التراكيب – محمد محمود أبو موسي – مكتبة وهبة القاهرة – الطبعة الثانية .

16- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية – محمد ابراهيم المصطفي – مكتبة وهبة القاهرة – الطبعة الأولى 1992م .
17- دلائل الاعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود شاكر – مكتبة الأسرة.
18- دلالات التراكيب – محمد محمود أبوموسي – مكتبة وهبة الطبعة الثانية 1987م .
19- شرح ابن عقيل – تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد – مكتبة دار التراث القاهرة- الطبعة العشرون 1980م .
20- صفوة التفاسير - محمد علي الصابوني – دار إحياء التراث العربي للطباعة بيروت – الطبعة الرابعة 2004م
21- الصناعتين – إبن هلال العسكري – مفيدة قميحة –دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى 1981م .
22- فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية – الشوكاني – دار المعرفة للطباعة – بيروت – الطبعة الثانية 1997م .
23- فن البلاغة – صباح دراز – المطبعة التوفيقية مصر "بدون تاريخ"
24- الفوائد المشوق الي علوم القرآن وعلم البيان - ابن قيم الجوزية – تحقيق : محمد عثمان الخشت – مطبعة القرآن للنشر القاهرة 1377هـ .
25- قطر الندى – ابن هشام الأنصاري – تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية بيروت 1991م .
26- الكشف عن حقائق التنزيل وبديع الأقاويل في التأويل – الزمخشري – دار الفكر بيروت .
27- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – ضياء الدين ابن الأثير – تحقيق: أحمد الحوفي – دار الرفاعي – الطبعة الثانية1983م .
28- مجاز القرآن – أبوعبيدة المثني التميمي – تحقيق : محمد فؤاد – مكتبة الخانجي القاهرة 1954م .
29- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية الأندلسي – تحقيق : عبد السلام عبد الشافي – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى 1993م
30- مذكرات في الفصل والوصل والقصر – الشيخ سليمان نور – مطبعة العلوم – الطبعة الثانية 1934م .
31- مفتاح العلوم – أبي يعقوب السكاكي – تحقيق: نعيم زرزور – دتر الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولي 1983م

32- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – الإمام برهان الدين البقاعي – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى 1995م .
33- النظم القرآني بين النظرية والتطبيق – حسن إسماعيل عبد الرازق – دار الطباعة القاهرة – الطبعة الأولى 1983م .

الفهـــرس

الرقم	**الموضوع**	رقم الصفحة
1	الإستهلال	ب
2	الإهـــــداء	ت
3	الشكر والعرفان	ث
4	ملخلص البحــث	ج
5	المقـــــدمة	1
6	**الفصـــــل الأول** "النظم عند الإمام الجرجاني وقبله"	
7	**المبحث الأول**	5
8	تعربف النظم	5
9	النظم قبل الإمام الجرجاني	6
10	النظم عند ابن المقفع	8
11	النظم عند سيبويه	8
12	النظم عند بشر بن المعتمر	10
13	النظم عند الجاحظ	11
14	النظم عند ابن قتيبة	12
15	النظم عند محمد بن يزيد الواسطي	12
16	النظـم عند الجرجاني	14
17	الفرق بين نظم الحروف ونظم الكلم	15
18	الفرق بين النظم والنحو	16
19	**المبحـــث الثاني**	
20	تطبيق نظرية النظم عند الجرجاني	17
21	التقديم والتأخير	17
22	الحذف والذكر	21
23	الفصل والوصل	24
24	الاستعارة	27
25	**المبحــث الثالث**	
26	مفهوم الغموض	30
27	عناصر الغموض عند الجرجاني	31
28	الغاية من معرفة النظم	32
29	أثر النظم في النقد العربي	33
30	النظم القرآني	34

31	مقدمة علم المعاني	35
32	موضوعات علم المعاني	36
33	**الفصـل الثاني** "تطبيق نظرية النظم علي سورة هود"	
34	**المبحـث الأول**	
35	نظرات في سورة هود	39
36	التقديم والتأخيـر في سورة هود	41
37	**المبحث الثاني "الذكر والحذف"**	50
38	أنواع الحـذف	51
39	حذف الأسماء	51
40	حذف الفاعل	51
41	حذف المفعول	53
42	حذف المبتدأ	54
43	حذف الخبر	55
44	حذف المضاف	56
45	حذف المضاف إليه	57
46	حذف الموصوف	59
47	حذف الصفة	59
48	حذف القول	60
49	حذف الأجوبة	61
50	**المبحث الثالث**	
51	الإيجـــاز	64
52	الاطنـــاب	70
53	**المبحث الـرابع"القصر"**	
54	القصـــر	76
55	القصر بالنفي والاستثناء في حوار الأنبياء مع أقوامهم	76
56	القصر بإنما	79
57	القصـر بضمير الفصـل	80
58	**المبحث الخـامس"الفصل والوصل"**	
59	الفصل والوصل	82
60	كمال الإتصال	82
61	التوكيد	82
62	البيان	84
63	الإستئناف البياني	85
64	الإستئناف البياني بالجملة التعليلية	87

65	كمال الإنقطاع	89
66	مواطن الوصل	91
67	**المبحث الســادس**	
68	الاستعارة	93
69	الخـــــاتمة	99
70	النتائج والتوصيــات	99
71	قائمة المصادر والمراجع	101
72	الفهــرس	104